

بسم الله الرحمن الرحيم
جامعة ابن زهر
كلية الشريعة
ايت ملول اكادير

علم التفسير

د : مريم العبادي .

السنة الجامعية: 2024-2025.

علم التفسير :

المفهوم اللغوي لكلمة التفسير:

التفسير "تفعيل" من الفسر، وهو البيان والكشف، ويقال: هو مقلوب السفر، تقول: أسفر الصبح إذا أضاء، وقيل مأخوذ من التفسرة، وهي اسم لما يعرف به الطبيب الممرض¹. قال في القاموس: الفسر: الإبانة وكشف المغطى.

وقال في لسان العرب: الفسر: البيان ... والتفسير مثله. ثم قال: الفسر: كشف المغطى. والتفسير: كشف المراد من اللفظ المشكل.

ويراد منه في اللغة العربية الإيضاح والتبيين، وقد ورد اللفظ بهذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) الفرقان الآية 33 ، أي وأحسن بيانا وتفصيلا.

ومن هذا الذي تقدم يتبين لنا أن التفسير يستعمل -- لغة -- في الكشف الحسي؛ كما يستعمل في الكشف عن المعاني، واستعماله في الأخير أكثر من استعماله في الأول².

المفهوم الاصطلاحي لكلمة التفسير:

كلمة التفسير تطلق في اصطلاح علماء التفسير والمعنيين به، على العلم الذي يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد الله صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه هكذا عرفه الزركشي كما نقله عنه صاحب الإتيان³.

ولا حدود لاجتهادات العلماء في تعريف هذا العلم، فكل عالم يعرف علم التفسير بما يراه الأقرب والأدق في معرفة المعاني القرآنية، وينظر من زاوية تختلف عن الزاوية الأخرى، فالبعض عرف التفسير بأنه العلم الذي يبحث عن أحوال القرآن من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، والبعض الآخر اعتبره علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها، ومتشابهها، وناسخها، ومنسوخها، وخاصها، وعامها، ومطلقها ومقيدتها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدتها، وأمرها ونهيها⁴.

التأويل والفرق بينه وبين التفسير:

¹ لإتيان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1394 هـ / 1974 م، ج4 ص192.

² علم التفسير، د محمد حسين الذهبي، دار المعارف، ص 5

³ الإتيان ، ج4 ص194.

⁴ مقدمة في الدراسات القرآنية، د. فاروق النيهان، طبعة وزارة الاوقاف المغربية، 1415هـ-1995م، ص95

المفهوم اللغوي لكلمة التأويل :

التأويل أصله من الأول وهو الرجوع، فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني وقيل من الإيالة وهي السياسة، كأن المؤول للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه.¹

المفهوم الاصطلاحي لكلمة التأويل:

كلمة التأويل تطلق عند علماء السلف ويراد بها: تفسير الكلام وبيان معناه سواء أكان موافقا للظاهر أم مخالفا له، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين، وهذا هو ما يعنيه ابن جرير الطبري بقوله في تفسيره: " القول في تأويل قوله تعالى .. كذا وكذا". وهو ما يعنيه أيضا بقوله: «اختلف أهل التأويل في هذه الآية».

وتطلق كلمة التأويل عند المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين على صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترب به، وقد نقل السيوطي أقوال العلماء في المسألة، قال: (واختلف في التفسير أو التأويل، فقال أبو عبيد وطائفة: هما بمعنى: وقد أنكر ذلك قوم حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري، فقال: قد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتموا إليه.

وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل؛ وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمال، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها.

وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهها واحدا، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها، بما ظهر من الأدلة.

وقال الماتريدي: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي، وهو المنهي عنه، والتأويل ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع والشهادة على الله.²

الدكتور فاروق النبهان رحمه الله بعد أن عرض مجمل التعاريف في موضوع التفسير والتأويل استنتج خصائص كل منهما وهي:

أولا: خصائص التفسير:

- أكثر استعمال التفسير في الألفاظ والمفردات.
- مهمة التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازا.
- غاية التفسير كشف معاني القرآن وبيان المراد منه.

¹ لإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، ج4 ص 192.

² لإتقان، ج4 ص 192.

- يعتبر في التفسير الاتباع والسماع.

- التفسير يتعلق بالرواية.

ثانياً: خصائص التأويل

- موطن التأويل في المعاني والجمال.
- غاية التأويل تفسير باطن اللفظ وإخبار عن حقيقة المراد .
- التأويل يعتمد على الترجيح ولا مجال للقطع فيه .
- التأويل يتعلق بالدراية.¹

وجه الحاجة إلى التفسير:

شبه السيوطي الحاجة إلى التفسير بالحاجة إلى شروح المصنفات ، فقال : أما وجه الحاجة إليه، فقال بعضهم : اعلم أن من المعلوم أن الله إنما خاطب خلقه بما يفهمونه، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه، أنزل كتابه على لغتهم، وإنما احتيج إلى التفسير لما سيذكر بعد تقرير قاعدة، وهي أن كل من وضع من البشر كتاباً فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح، وإنما احتيج إلى الشروح لأمر ثلاثة:

أحدها : كمال فضيلة المصنف فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز فربما عسر فهم مراده فقصد بالشرح ظهور تلك المعاني الخفية ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره له.

وثانيها : إغفاله بعض تنمات المسألة أو شروطها اعتماداً على وضوحها أو لأنها من علم آخر فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه.

وثالثها : احتمال اللفظ لمعان كما في المجاز والاشتراك ودلالة الالتزام فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو عنه بشر من السهو والغلط أو تكرار الشيء أو حذف المبهم وغير ذلك فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك.

إذا تقرر هذا فنقول: إن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم في الأكثر كسؤالهم لما نزل قوله: {ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه ففسره النبي صلى الله عليه وسلم، واستدل عليه بقوله: {إن الشرك لظلم عظيم} وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير فقال: "ذلك العرض"، وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود وغير ذلك مما سألوا عن أحاد منه ، ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم فنحن أشد الناس احتياجاً إلى التفسير ومعلوم أن تفسيره ؛بعضه يكون

¹مقدمة في الدراسات القرآنية، فاروق النيهان، ص102-103

من قبل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها ، وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض¹.

شرف علم التفسير:

أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم الثلاثة الشرعية

قال الأصبهاني: أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن، بيان ذلك أن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها، مثل الصياغة فإنها أشرف من الدباغة لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة الذي هو جلد الميتة، وإما بشرف غرضها مثل صناعة الطب فإنها أشرف من صناعة الكناسة لأن غرض الطب إفادة الصحة وغرض الكناسة تنظيف المستراح، وإما لشدة الحاجة إليها كالفقه فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب، إذ ما من واقعة من الكون في أحد من الخلق إلا وهي مفتقرة إلى الفقه لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين بخلاف الطب فإنه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات.

إذا عرف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث، أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، وأما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تقنى، وأما من جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى².

مكانة علم التفسير بين العلوم :

كل العلوم في شرف خدمة علم التفسير، وما من علم منها إلا وهو وسيلة من وسائل توضيح معانيه، وتجلية مقاصده ومرامي: فعلم البلاغة: وسيلة إلى الكشف عن بلاغة القرآن الكريم وسر إعجازه. وعلم الفقه وأصوله: وسيلة إلى الكشف عن تشريعاته وأحكامه: وعلم النحو والصرف: كلاهما وسيلة إلى ضبط ألفاظه وفهم معانيه؛ وعلم الكلام والجدل: وسيلة إلى تجلية عقائده ومساندتها بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة؛ والعلوم الكونية والطبيعية: وسيلة إلى الكشف عما أودعه الله كتابه واسترعى إليه أنظار عباده من دلائل قدرته وأسرار ملكوته، وعجائب مخلوقاته التي بثها في الأنفس والآفاق، وهكذا بقية العلوم -مهما كثرت وعلا شأنها -كلها مسخرة لخدمة القرآن الكريم. ولا عجب فهو كتاب رب العالمين «كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» هود الآية 3.1

¹. لإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ، ج4 ص195.

². لإتقان للسيوطي ج4 ص199

³. علم التفسير للذهبي، ص9

عناية المسلمين به:

عناية المسلمين بتفسير القرآن الكريم والكشف عن معانيه عناية دونها كل عناية بذلت بالنسبة لأي من العلوم الإسلامية ، بل غير الإسلامية ، ولم تكن هذه العناية البالغة بنت الأمس القريب أو البعيد ، بل هي بنت الأمس الموهل في البعد ؛ لأنها ولدت منذ الساعة الأولى من نزول القرآن الكريم ؛ فقد كان القرآن في أول أمره ينزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ، يقرأ جبريل عليه السلام ، فيبادرنبي الله إلى أخذه ، ويسابق الملك في قراءته ؛ فأمره الله - عز وجل - إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له ، وتكفل الله له : أن يجمعه في صدره ، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه ، وأن يفسره له ويبينه ، ويوضحه: وفي ذلك يقول الله تعالى موجهها الخطاب لنبيه عليه الصلاة والسلام: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتْبَعَ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ»¹ القیامة: 16-19. ضمن له الحفظ. وضمن له قراءته كما قرأه جبريل، ثم ضمن له بيان معانيه. ولم يقف أمر بيان معاني القرآن الكريم عند رسول الله وحده، بل تعداه -من أول الأمر أيضا- إلى صحابته رضوان الله عليهم أجمعين؛ فقد أمر الله رسوله أن يبين للناس ما نزل إليه، فقال عزمن قائل: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»² النحل الآية 44.

ولم يقف القرآن عند هذا الحد، بل تعداه إلى دعوة الأمة إلى التدبر في آياته والبحث عن معانيه بقوله سبحانه: «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ» ص الآية 29، وقوله بأسلوب التبكيث لمن أعرضوا عن ذكره: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) محمد الآية 24. ولقد حرص أصحاب رسول الله على أن يعرفوا معاني ما يحفظون من القرآن أولاً فأولاً: روى ابن جرير الطبري بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»¹ وروى ابن جرير أيضا بسنده إلى أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا ما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا»².

¹ علم التفسير للذهبي، ص 10-11. انظر تفسير ابن جرير ج 1 ص 46.

² نفسه ص 11، انظر: تفسير ابن جرير، ج 2 ص 27.

علم أصول التفسير

- تعريف أصول التفسير.

- الأصول جمع أصل، والمراد به أساس الشيء¹.
ويطلق الأصل على القاعدة المستمرة، أو القاعدة الكلية في أي باب.
- فالأصول: هي أحكام كلية يُتعارف بها على أحكام جزئياتها، المقصود بالكلية أي أنها أغلبية، بمعنى أنها تنطبق على أكثر الجزئيات².

والتفسير في لغة العرب (كما فصلنا سابقاً): ينحصر معناه على خمسة معان: الكشف، والإيضاح، والبيان، والتفصيل، والإظهار.
وفي الاصطلاح: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه"³.

- وأصول التفسير باعتبار التركيب:

هي الأسس والمقدمات العلمية التي تعين على فهم التفسير، وما يقع فيه من الاختلاف، وكيفية التعامل معه.⁴

أهمية علم أصول التفسير وفائدته:

- للعلم بأصول التفسير فوائد كثيرة وثمرات عديدة، ونلخصها فيما يلي:
- ضبط الفهم بأصول محكمة وأسس قوية؛ تؤدي إلى نتائج صحيحة.
- تفسير القرآن وفهمه دالاً ومدلولاً لفظاً ومعنى، وما يتعلق به من أسباب نزول وسياق.
- رد الشبهات والتحريفات الباطلة التي لا تليق بتفسير القرآن ومقاصده.
- ارتباط المتعلم بالقرائن الحالية زمن نزول القرآن وكيفية فهم النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة له.
- تتبع الإشارات الدلالية التي دل عليها القرآن ومعالجته للقضايا ، والنوازل والأحكام.⁵

معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس القزويني (ت 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر
¹. عام النشر: 1399هـ - 1979م.

² محاضرات في أصول التفسير ومناهج المفسرين، د. محمد بن عبد العزيز بلوش السليمان، ص 2، شبكة الألوكة ، قسم الكتب.

³ (لبرهان في علوم القرآن للزركشي، ط: دار إحياء الكتب العربية) (1-13)

⁴ فصول في أصول التفسير، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، 1423هـ

⁵ محاضرات في أصول التفسير ومناهج المفسرين، د. محمد بن عبد العزيز بلوش السليمان، ص 4، شبكة الألوكة ، قسم الكتب.

الفرق بين التفسير وأصول التفسير:

- التفسير هو الكشف عن مراد الله -تبارك وتعالى- من كلامه ، وأصول التفسير هي القواعد التي يتوصل بها إلى كشف مراد الله -تبارك وتعالى- من كلامه، فالقواعد وسيلة، والتفسير غاية ، فهي أصول يبني عليها المفسر عمله.

استمداد علم أصول التفسير :

دون العلماء في كتب علوم القرآن ومقدمات التفاسير ما يستمد به علم التفسير :

- من علوم الشرع كالعقيدة والفقه، والقراءات، والحديث.

- وعلوم اللغة العربية : كالنحو، والتصريف، والبلاغة، وغيرها.

طرق استمداد علم أصول التفسير، وهذا يكون:

- أحدهما: استقراء نصوص الشرع من كتاب، وسنة، واستخراج الأصول والقواعد منها.

- والآخر: استقراء لغة العرب واستخراج ما يصلح أن يكون أصلاً أو قاعدة.

والمراد بالاستقراء: هو تتبع الجزئيات للوصول إلى حكم عام: إما قطعي وإما ظني¹.

أهم الكتب التي ألفت في أصول التفسير :

نستطيع أن نلخص المؤلفات في أصول التفسير وأنها مرت بأربع مراحل:

- أولاً : من خلال ما كتبه العلماء في كتب علم الأصول: كالرسالة للشافعي (ت204هـ)، والموافقات للشاطبي (ت790هـ)، والإمام في بيان أدلة الأحكام للعز بن عبد السلام (ت660 هـ).

- ثانياً : من خلال ما كتبه المفسرون في مقدمات تفاسيرهم كالطبري، وابن عطية، وابن جزي، وابن عاشور، وغيرهم.

- ثالثاً : من خلال ما كتبه العلماء في كتب علوم القرآن : كالزركشي، والسيوطي.

- رابعاً : من خلال ما نص العلماء على التأليف فيه بشكل مباشر وهو قليل، وأكثرهم من متأخري أهل العلم، أو المعاصرين، وهي كالتالي:

- مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية .

- الإكسير في أصول التفسير للعلامة لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي .

- التيسير في قواعد علم التفسير لمحمد بن سليمان الكافجي .

- أصول التفسير للسيوطي .

- الفوز الكبير في أصول التفسير ، لولي الله الدهلوي .

- أصول في التفسير، للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

- فصول في أصول التفسير ، للأستاذ الدكتور مساعد الطيار.

¹ ..محاضرات في أصول التفسير ومناهج المفسرين ، ص6.

- المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير، للدكتور محمد علي الحسن.
- بحوث في أصول التفسير، للدكتور محمد لطفي الصباغ.
- أصول التفسير وقواعده للشيخ خالد عبد الرحمن العك.
- النظم الحبير في علوم القرآن وأصول التفسير، للأستاذ الدكتور سعود الشريم.
- "التمهيد في أصول التفسير" للأستاذ الدكتور محمد بن سريع السريع¹.

¹.محاضرات في أصول التفسير ومناهج المفسرين ، ص7-8

وباستقراء المراحل التي مر منها التفسير و كيف تطور، يمكننا أن نعرف الأصول التي استعملت في التعامل مع كتاب الله ، ابتداءً بعصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، مروراً بزمان الصحابة، الى عصرنا هذا ، والتي تلخصت في ستة طرق هي:

- ١ - تفسير القرآن بالقرآن.
- ٢ - تفسير القرآن بالسنة.
- ٣ - تفسير القرآن بأقوال الصحابة.
- ٤ - تفسير القرآن بأقوال التابعين.
- ٥ - تفسير القرآن باللغة.
- ٦ - تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد¹.

مراحل التفسير وتدرجه فيها:

بدأت عناية المسلمين بتفسير القرآن الكريم والكشف عن معانيه وأسراره من أول نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستمرت هذه العناية إلى يومنا هذا، وستبقى مستمرة ما دام القرآن الكريم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكان طبعياً أن يبدأ تفسير القرآن الكريم على صورة ضيقة؛ لأن القوم – وقت نزوله - كانوا عرباً خلصاً، يعرفون اللسان العربي، ولا يخفى عليهم من معانيه إلا النزر اليسير الذي لا يلبث أن ينجلي لهم يرجوعهم فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم تتسع دائرة التفسير شيئاً فشيئاً كلما ازداد الغموض على الناس ، ضرورة بعدهم عن معين العربية التي نزل بها القرآن الكريم ، ونستطيع أن نحصر هذا التدرج في فهم القرآن الكريم في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته.

المرحلة الثانية: عصر التابعين.

في المرحلة الثالثة: ما بعد عصر التابعين، أو منذ بدأ التدوين للعلوم إلى يومنا هذا².

المرحلة الأولى للتفسير:

أو التفسير في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

جرت سنة الله مع رسله عليهم السلام أن يرسل كلا منهم بلسان قومه حتى يستطيعوا الأخذ منه، والفهم عنه. مصداق ذلك قوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومهم ليبين لهم) إبراهيم الآية 4.

¹فصول في أصول التفسير لمساعد الطيار، ص36

²علم التفسير للذهبي، ص 12-13

وعلى هذه السنة نزل القرآن الكريم على رسول الله . قال عز من قائل : (إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يوسف الآية 2. وقال : (وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلوبك لتكونَ مِنَ المنذرين، بلسان عربي مبين) الشعراء الآيات 192-195. وكان من الضروري - وقد نزل القرآن بلغة العرب على رسول هو أعلم الناس بلغة العرب، ثم هو بعد قد ضمن الله له بيان القرآن بقوله : (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه) القيامة الآيتان 18-19، كان ضروريا مع هذا كله أن يفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم جملة وتفصيلا ، بحيث لا يغيب عنه من معانيه وأسراره وحكمه وأحكامه شاردة ولا واردة¹.

أنواع تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن:

1 - أن يبتدأ النبي - صلى الله عليه وسلم - الصحابة بالتفسير.

2 - أن يشكل على الصحابة فهم أية فيفسرها لهم.

3 - أن يذكر في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيراً.

4 - أن يتأول القرآن فيعمل به.²

وكان الصحابة -رضي الله عنهم- يفهمون القرآن كذلك؛ لأنه نزل بلغتهم، وإن كانوا لا يفهمون دقائقه، يقول ابن خلدون في مقدمته: "إن القرآن نزل بلغة العرب - وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه" ولكنهم مع هذا كانوا يتفاوتون في الفهم، فقد يغيب عن واحد منهم ما لا يغيب عن الآخر³.

ولقد نجد خلافا بين علماء المسلمين: فمنهم من ذهب إلى أن النبي بين لأصحابه كل معاني القرآن الكريم. ومنهم من ذهب إلى أنه عليه الصلاة والسلام لم يبين لهم إلا القليل، ولا متسع لسرد كل من القولين، ولا أدلة كل من الفريقين، وأمامنا عبارة لابن عباس يرويها عنه ابن جرير الطبري في تفسيره⁴ ونصها:

التفسير أربعة أوجه:

1- وجه تعرفه العرب من كلامها.

2- وتفسير لا يعذر أحد بجهالته.

3- وتفسير تعرفه العلماء.

4- وتفسير لا يعلمه إلا الله.

ومن خلال هذا النص لترجمان القرآن ابن عباس - نستطيع أن نخرج بحقيقة تقضى على هذا الخلاف الذي أمسكنا عن تفصيله، هذه الحقيقة هي:

¹. علم التفسير للذهبي، ص13-14

². فصول في أصول التفسير، ص72

³. مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص345

⁴ الاتقان للسيوطي، ج4 ص216.

- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفسر لهم القسم الأول، وهو: ما يرجع فهمه إلى معرفة كلام العرب لأن القرآن نزل بلغتهم.
- ولم يفسر لهم القسم الثاني وهو: ما تتبادر الأفهام إلى معرفته، وهو الذي لا يعذر أحد بجهله؛ لأنه لا يخفى على أحد.
- ولم يفسر لهم القسم الرابع وهو ما استأثر الله بعلمه: كوقت قيام الساعة، وحقيقة الروح... وغير ذلك من كل الغيوب التي لم يُطلع الله عليها نبيه.
- وإنما فسر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المغيبات التي أخفاها الله عنهم وأطلع عليها نبيه وأمره ببيانها لهم وفسر لهم - أيضاً - كثيراً مما يندرج تحت القسم الثالث، وهو ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم: كبيان المجمل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وغير ذلك من كل ما خفي معناه، والتبس المراد به.¹
- وإذن فبعض ما يروى عن الصحابة في التفسير مأخوذ عن رسول الله، وبعضه - وهو ما لم يتيسر لهم أخذه عنه وكان بحاجة إلى نظر واجتهاد - قالوا فيه برأيهم، وأعملوا فيه نظرهم واجتهادهم مستعينين في ذلك بما يعرفونه من أوضاع اللغة وأسرارها، وعادات العرب وتقاليدها، والحوادث التي نزلت بعض الآيات بشأنها، وأحوال أهل الكتاب الذين كانوا في جزيرة العرب وقت نزول القرآن الكريم... ثم بقوة الفهم وسعة الإدراك - كما قال على رضى الله عنه - لما سئل: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: «لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن»².
- ومن البدهي أن قول على رضى الله عنه (ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن) يساعدنا في تثبيت ما قلنا قبل: من أن الصحابة متفاوتون في فهم القرآن الكريم. وقد يخفى عليهم الكثير من معانيه. ولو أننا رجعنا إلى عصر الصحابة لوجدنا أن الكثير منهم كانوا يكتفون بالمعنى الإجمالي للآية: ومما يشهد لهذا ما أخرجه أبو عبيدة في الفضائل عن أنس رضي الله عنه: أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر «وفاكهة وأبا» فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: «إن هذا لهو التكلف يا عمر» وما أخرجه أبو عبيدة من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتى أعرابيان يتخاصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها: يقول: أنا ابتدأتها، ولا ضير في هذا؛ لأن اللغة لا يحيط بها إلا معصوم، ولم يدع أحد أن كل فرد من أمة يعرف جميع الفاظ لغتها.
- ولو أننا رجعنا أيضاً إلى عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين - لوجدنا أن منهم من كان يفهم الآية على غير وجهها: يشهد لذلك ما رواه البخاري من أن عدى بن حاتم لم يفهم قوله تعالى: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) البقرة الآية 187، وبلغ من أمره أن أخذ عقالا أبيض وعقالا أسود، فلما كان بعض الليل نظر إليهما فلم يستبيناً، فلما أصبح أخبر الرسول بشأنه، فعرض بقلة فهمه. وأفهمه المراد.³

¹. علم التفسير للذهبي، ص 16. انظر: الاتقان، ج 4، ص 217-218-219.

² صحيح البخاري في باب الجهاد ج 4 ص 69 ط: الخيرية، 1320 هـ.

³ الحديث عن البخاري في باب التفسير.

ولو أننا رجعنا ثالثاً -إلى عصر الصحابة رضي الله عنهم- لوجدنا من شيوخهم من لا يدركون إشارات القرآن الكريم على حين يفهمها من هو في أول سلم الشباب : يشهد لذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال : «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجدَّ في نفسه وقال : لِمَ يدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من أعلمكم، فدعاهم ذات يوم في فأدخلني معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليرتيمهم، فقال ما تقولون في قوله تعالى : { إذا جاء نصر الله والفتح } ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم ولم يقل شيئاً، فقال لي : أذكلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول : قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له : قال إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) فقال عمر : لا أعلم منها إلا ما تقول" ¹.

أصول التفسير في هذه المرحلة:

أما مصادر التفسير في هذه المرحلة : فبالنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا مصدر له إلا الله عز وجل ؛ لأنه : إما أن يأخذ عن الله مباشرة ، وإما أن يأخذ عن القرآن الكريم نفسه ، وإما أن يجتهد رأيه ، وهو في كل ذلك أخذ عن الله سبحانه : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) النجم - الآيتان 3-4 .

أما بالنسبة إلى الصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم - فأصول التفسير أربعة :

المصدر الأول - القرآن الكريم :

المراد من تفسير القرآن بالقرآن هو أن يبحث المفسر في القرآن ما يوضح به الموضع المراد تفسيره، سواء كان ذلك لفظة بلفظة، أو معنى بمعنى؛ وذلك لأن الله تعالى أعلم بكلامه من غيره ².

وذلك أن القرآن يشتمل على الإيجاز والإطناب ، وعلى الإجمال والتبيين ، وعلى الإطلاق والتقييد ، وعلى العموم والخصوص ، وما أُوجز في مكان قد يذكر مفصلاً في مكان آخر، وما أجمل في موضع قد يبين في موضع آخر ، وما جاء مطلقاً في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى ، وما كان عاماً في آية قد يدخله التخصيص في آية أخرى .

من أجل هذا كان لا بد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً ، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد ، ويقابل الآيات بعضها ببعض ؛ ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً ، وبما جاء مبيناً على فهم ما جاء مجملاً : وليحمل المطلق على المقيد ، والعام على الخاص ؛ وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن ، وفهم مراد الله بما جاء

¹. علم التفسير للذهبي، ص18-19. انظر مباحث في علوم القرآن، ص345-346

². محاضرات في أصول التفسير، لمحمد ابراهيم البلوشي، ص10

عن الله ، وهذا مصدر لا يجوز لأحد - مهما كان - أن يعرض عنه ، ويتعداه إلى غيره من المصادر.

ومن أمثلة تفسير القرآن بالقرآن :

1- قوله تعالى : « فتلقي آدم من ربه كلمات فتاب عليه . . . سورة البقرة - الآية 37: فسر (الكلمات) قوله تعالى في آية أخرى: (قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) الأعراف 23.

2 - وقوله تعالى : (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً) النساء الآية 27: فسر الاسم الموصول بأهل الكتاب في قوله (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل) النساء- الآية 44. والأمثلة كثيرة لهذا التفسير¹.

وقد اعتنى بهذا الطريق : من السلف المفسر عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقد ظهر هذا واضحاً من خلال المرويات عنه في تفسير الطبري. وقد كان لابن كثير عناية بهذا الطريق في تفسيره.

وممن ألف في هذا الطريق الأمير الصنعاني محمد بن إسماعيل،

وعنوان كتابه مفاتيح (مفتاح) الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن

وأفضل مؤلف موجود الآن في هذا النوع كتاب الإمام الشنقيطي (ت 1393هـ) الذي أسماه (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، وقد قدم له بمقدمة مهمة في أنواع بيان القرآن للقرآن، وتوسع فيها كثيراً².

المصدر الثاني : - النبي صلى الله عليه وسلم.

تفسير النبي صلى الله عليه وسلم يعتبر تفسيراً قطعياً؛ لأنه مبلغ عن الله تعالى، ويكون بالرجوع إليه في حياته ، وبالرجوع إلى سنته بعد وفاته ؛ وذلك لأن وظيفته البيان كما أخبر الله عنه بذلك في كتابه العزيز بقوله : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) النحل الآية 44. وكما نبه على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود بسنده عنه أنه قال : ألا وإنني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من خلل فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه . . . الحديث.

ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة :

1 - ما أخرجه الترمذي عن علي قال : سألت رسول الله عن (يوم الحَجِّ الأكبر) التوبة . الآية 3 . فقال : يوم النحر .

2- ما أخرجه مسلم وغيره عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول يقول وهو على المنبر : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) الانفال- الآية 60. ألا وإن القوة الرمي³.

¹. علم التفسير للذهبي، ص 18-19. انظر مباحث في علوم القرآن، ص 346.

². فصول في أصول التفسير، ص 37.

³. علم التفسير للذهبي، ص 21-22. انظر فصول في أصول التفسير، ص 44-45.

وقد أفردت كتب السنة باباً للتفسير بالمأثور عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقال الله تعالى: (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون). النحل، الآية 64.

ومن القرآن ما لا يعلم تأويله إلا ببيان الرسول -صلى الله عليه وسلم- كتفصيل وجوه أمره ونهيه، ومقادير ما فرضه الله من أحكام، وهذا البيان هو المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم: (ألا وإنني أوتيت الكتاب ومثله معه).¹

المصدر الثالث الاجتهاد وقوة الاستنباط:

كان الصحابة إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله تعالى ، ولم يتيسر لهم أخذه عن النبي - مباشرة أو بالوساطة ، حينئذ يكون الاجتهاد واجباً على من تتوافر فيه شروط الاجتهاد ، وهذا - بالضرورة - إنما يكون فيما يحتاج إلى نظر واجتهاد ، أما ما يمكن فهمه بمجرد معرفة اللغة فكانوا لا يحتاجون في فهمه إلى أعمال النظر ضرورة أنهم عرب خلّص يعرفون كلام العرب ومناحيهم في القول ، ويعرفون الألفاظ العربية ومعانيها بالوقوف على ما ورد من ذلك في الشعر الجاهلي الذي هو ديوان العرب ، كما يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا ، وأدوات الاجتهاد في التفسير عند الصحابة تنحصر فيما يلي :

- 1 - معرفة أوضاع اللغة العربية وأسرارها ، لأنها تعين على فهم الآيات التي لا يتوقف فهمها على غير لغة العرب .
- 2 - معرفة عادات العرب ، لأنها تعين على فهم الكثير من الآيات التي لها صلة بعاداتهم .
- 3 - معرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن ؛ لأنها تعين على فهم الآيات التي فيها الإشارة إلى أعمالهم والرد عليهم.
- 4 - معرفة أسباب النزول وما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات . وذلك لأنها تعين على فهم كثير من الآيات القرآنية .

وهذا قال الواحدي : « لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزوها.²

- 5 - قوة الفهم وسعة الإدراك وهذا فضل الله يعطيه من يشاء من عباده - وذلك لأن كثيراً من آيات القرآن يدق معناه ، ويخفى المراد منه، ولا يظهر إلا لمن أوتي حظاً من الفهم ونور البصيرة ، ولقد أوتي ابن عباس حظاً وافراً من ذلك ، وهذا ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل).³

ومن أمثلة ذلك ما رواه البخاري من الأسئلة المشككة التي طرحت على ابن عباس، ومنها:

قوله تعالى: (أم السماء بناها) إلى قوله: (دحاها) النازعات: 27-30 . فذكر خلق السماء قبل الأرض، وفي قول: (أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين) إلى قوله: (طائعين) فصلت: 9-11. فذكر خلق الأرض قبل السماء في هذه الآية.

¹مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص347.

²علم التفسير للذهبي، ص23، منهج الفرقان في علوم القرآن، ج1-ص36.

³علم التفسير، ص23. "فتح الباري ج1-ص124-125-كتاب العلم-باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " اللهم علمه الكتاب

فأجاب ابن عباس عن ذلك فقال: خلق الأرض في يومين، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوا أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والأكام وما بينه في يومين آخرين، فذلك قوله : دحاها ، وقوله : (خلق الأرض في يومين) فجعل الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السماء في يومين¹.

المصدر الرابع - أهل الكتاب من اليهود والنصارى :

القرآن الكريم اتخذ منهجاً يخالف منهج التوراة ومنهج الإنجيل فيما يتعلق بالموضوعات المشتركة بينهم، فلم يتعرض لتفاصيل جزئيات المسائل ، ولم يستوف القصة من جميع نواحيها كما جرى عليه أمر التوراة والإنجيل بل اقتصر من ذلك على مواضع العبرة فقط . ولما كانت العقول - دائماً - تميل إلى الاستيفاء والاستقصاء - جعل بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين - يرجعون في استيفاء القصص التي لم يتعرض لها القرآن الكريم من جميع نواحيها إلى من دخل في الإسلام من أهل الكتاب : كعبد الله بن سلام ، وكعب الأحبار ، وغيرهما من علماء اليهود والنصارى ، وهذا - بالضرورة كان بالنسبة لمن ليس عندهم فيه شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأنه لو ثبت في ذلك شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يعدلون عنه إلى غيره مهما كان المأخوذ عنه .

غير أن رجوع بعض الصحابة إلى أهل الكتاب لم يكن له من الأهمية في التفسير ما للمصادر الثلاثة السابقة ، وإنما كان مصدراً محدوداً ؛ وذلك لأن التوراة والإنجيل وقع فيهما كثير من التحريف والتبديل ، وكان طبيعياً أن يحافظ الصحابة على عقيدتهم ، ويصونوا القرآن عن أن يخضع في فهم معانيه لشيء مما جاء ذكره في هذه الكتب غير الموثوق بها².

ومن أمثلة ذلك :سؤال ابن عباس لأبي الجلد³، فقد روى الطبري بسنده عن الحسن بن الفرات عن أبيه قال :كتب ابن عباس إلى أبي الجلد يسأله عن الردء، فقال :الردء الريح⁴.

أشهر المفسرين من الصحابة:

اشتهر بالتفسير من الصحابة عدد قليل ، وقد عدّ السيوطي في الإتيقان من اشتهر بالتفسير من الصحابة وسماهم ، وهم : الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم .

وهناك من تكلم في التفسير من الصحابة غير هؤلاء : كأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص ، وعائشة أم المؤمنين ، وما نقل عن هؤلاء في التفسير قليل جدا .

غير أن أربعة من الصحابة اشتهروا بالتفسير ، ونقل عنهم فيه أكثر من غيرهم ، وهؤلاء الأربعة هم :

¹.فصول في أصول التفسير،ص49

².علم التفسير للذهبي،ص24

³.أبو الجلد: هو جيلان بن أبي فروة،صاحب كتب التوراة،عن :فصول في اصول التفسير،ص48

⁴.فصول في اصول التفسير،ص48

1- عبد الله بن عباس 2- عبد الله بن مسعود 3- علي ابن أبي طالب 4- أبي ابن كعب وقد رتبناهم على كثرة المروي عنهم¹.

حكم تفسير الصحابي:

تفسير الصحابي له أقسام، وكل قسم له حكم خاص، وهذه الأقسام هي:

1 - ما له حكم الرفع، وهذا يشمل أسباب النزول ، والإخبار عن المغيبات ، وحكم هذا: القبول، إذا صح الخبر فيه، وسبب ذلك أن هذا مما لا مجال للاجتهاد فيه، ويلحق بهذا ما أجمع عليه الصحابة؛ لأن الإجماع حجة، فيكون بقوة المرفوع.

2 - منه ما رجعوا فيه إلى لغتهم، وحكم هذا القبول كذلك؛ لأنهم هم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وهم أعلم بلغتهم من غيرهم .

3 - منه ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب، وهذا له حكم الإسرائيليات.

4 - منه ما اجتهدوا فيه، وهذا فيه تفصيل:

- أن يتوافق اجتهداهم؛ فيكون حجة .

- أن يختلف اجتهداهم؛ فيرجح بين أقوالهم بأحد المرجحات.

- أن لا يرد إلا عن أحدهم، ولا يعلم له مخالف؛ فهذا الأخذ به أولى، خاصة إذا حفت به قرائن القبول؛ كأن يكون قول مشهور منهم بالتفسير؛ كعلي، وابن مسعود، وابن عباس، أو قبله من جاء بعدهم وأخذ به، أو غيرها من القرائن².

بينما ذهب فريق من العلماء إلى أنه يجب ألا يؤخذ به ، لأنه لما لم يرفعه عُلْم أنه اجتهد فيه ، والمجتهد يخطئ ويصيب والصحابة في اجتهداهم كسائر المجتهدين³

مميزات التفسير في هذه المرحلة:

يمتاز التفسير في هذه المرحلة بالمميزات الآتية :

1 - لم يفسر كل القرآن ، وإنما فسر بعضه ، وهو ما كان خافياً على الصحابة ، وسألوا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2- إن الاختلاف في التفسير كان قليلاً.

¹. علم التفسير للذهبي، ص25. انظر الاتفاقان في علوم القرآن، ج4 ص233-234

². فصول في أصول التفسير، ص50-51

³. علم التفسير للذهبي، ص26

3- الاكتفاء - في كثير من الأحيان - بالمعنى الإجمالي ، فيكفي أن يفهموا من مثل قوله تعالى: (فاكهة وأبا)عبس الآية31. أنه تعداد لنعم الله تعالى على عباده ، أما ما الأب ؟ فذلك هو التكلف، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

4- الاختصار في توضيح المعنى اللغوي الذي فهموه على أخصر لفظ ، مثل قولهم : (غير متجانف لإثم) المائدة الآية 3. ، أي غير متعرض لمعصية ، فإن زادوا على ذلك فما عرفوه من سبب النزول .

5- ندرة الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية من الآيات القرآنية ، وعدم الانتصار للمذاهب الدينية ، ضرورة اتحادهم في العقيدة، لأن الخلافات المذهبية لم توجد الا بعد عصر الصحابة.

6- لم يدون شيء من التفسير في هذه المرحلة كعلم، لأن تدوين العلوم لم يبدأ إلا في القرن الثاني الهجري .

7- اتخذ التفسير في هذه المرحلة شكل الحديث ، ولم يكن التفسير إلا مجرد روايات تروى منثورة لآيات متفرقة : يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن معنى آية من القرآن الكريم فيقول فيها ما شاء الله أن يقول ، ويحمل ذلك عنه بعض أصحابه فيروونها لمن لم يسمعها منهم ، أو لمن يتلقون عنهم من التابعين.

وبالجملة فإن التفسير لم يتجاوز في هذه المرحلة – طريق الرواية، وهي الأصل فيما يعرف بالتفسير المأثور¹.

المرحلة الثانية للتفسير

أو التفسير في عصر التابعين

بدء هذه المرحلة

تنتهي المرحلة الأولى للتفسير بانصرام عصر الصحابة ، وتبدأ المرحلة الثانية للتفسير من عصر التابعين الذين تتلمذوا للصحابة ، فجلسوا إليهم، وأخذوا عنهم .

أصول التفسير في هذه المرحلة :

1- القرآن الكريم . فليس لمفسر أن يعدل عنه إلى غيره .

2- ما أثار وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في التفسير (إن هو إلا وحي يوحى) النجم الآية4.

3- ما روى عن الصحابة من تفسيرهم هم لأنهم عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعاصروا نزول القرآن ، وعرفوا أسباب نزوله .

4 - ما نقل عن أهل الكتاب مما جاء في كتبهم ، على نحو ما قلنا بالنسبة للصحابة ، غير أن بعض التابعين توسعوا في ذلك وتساهلوا في نقل المروى منه دون تحرر للصحة .

¹. علم التفسير للذهبي، ص27-28

- 5 - ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله¹.
- 6- تفسير القرآن بلغة العرب ، وسبب اعتبار هذا طريقا من طرق التفسير عندهم :
- نزول القرآن بلغتها، واعتماده أساليبها في الخطاب .
- اعتماد الصحابة والتابعين على اللغة في تفاسيرهم، واستشهادهم بأشعار العرب وأساليبها لبيان المعاني اللغوية في القرآن .
- إجماع الصحابة على جواز تفسير القرآن باللغة .
- شدد العلماء على من فسر القرآن وهو غير عالم بلغة العرب؛ كما روي عن مالك ومجاهد وغيرهما .
- قال مالك: (لا أوتى برجل يفسر كلام الله وهو لا يعرف لغة العرب إلا جعلته نكالا)²

حركة التفسير ومدارسه في هذه المرحلة:

أخذ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ما تيسر من التفسير على قلته ، و أصبحت حركة التفسير تسير بسير من اشتهر به منهم ، وتستقر حيثما استقروا : فمن رحل منهم بعد الفتح الإسلامي إلى مكة رحل معه التفسير إليها ، ومن استقر منهم بالمدينة استقر معه التفسير بها ، ومن نزع منهم إلى العراق نزع معه التفسير إليها، وحيثما يُقَم عالم التفسير في أى من الأمصار يجلس للناس يفسر لهم كتاب الله عز وجل ، فيحملوا عنه علمه ، وينقلوه بعد لمن وراءهم ، ولقد قامت على أيدي هؤلاء العلماء الأعلام من الصحابة مدارس نسبت إليهم ، وتتلذذ عليهم فيها نفر كثير من التابعين .

و في عهد التابعين ، ازداد الغموض على الناس فاحتاجوا إلى من يكشفه لهم ، فاجئوا إلى فقهاء التابعين وعلماء هم ، يسألونهم عما غمض عليهم ، فيفسرونه لهم، ويبصرونهم به ؛ وبذلك يكون التابعون قد زادوا في التفسير بمقدار ما زاد على الناس من غموض .

وهكذا مضت حركة التفسير ، وسارت في نمو مطرد مع زيادة الغموض إلى أن انتهى الأمر بتفسير القرآن كله.

وأشهر مدارس التفسير في زمن التابعين:

أولاً - مدرسة التفسير بمكة : وتنتمي إلى عبد الله بن عباس وأشهر تلاميذه بها من التابعين : سعيد بن جبير ، ومجاهد بن جبر ، وعكرمة مولى بن عباس ، وطاوس بن كيسان اليماني ، وعطاء بن أبي رباح .

ثانياً - مدرسة التفسير بالمدينة : وتنتمي إلى أبي بن كعب . وأشهر تلاميذه بها من التابعين : أبو العالية : رفيع بن مهران الرياحي ، ومحمد ابن كعب القرظي ، وزيد بن أسلم .

¹. علم التفسير للذهبي، ص29. وانظر: فصول في أصول التفسير، ص52-56

². فصول في أصول التفسير، ص59

ثالثاً – مدرسة التفسير بالعراق : وتنتمي إلى عبد الله بن مسعود ، وأشهر تلاميذه بها من التابعين : علقمة بن قيس النخعي، ومسروق بن الأجدع الهمداني ، والأسود بن يزيد النخعي، ومرة الهمداني ، وعامر الشعبي ، والحسن البصري ، وقتادة بن دعامة السدوسي¹.

قيمة التفسير الماثور عن التابعين

اختلف العلماء في قيمة من يروى عن التابعين في التفسير. وفي الأخذ بأقوالهم إذا لم يُؤثر في ذلك شيء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين، وتلخص ذلك فيما يلي :

1- عن الإمام احمد الله رضي الله عنه روايتان في ذلك :

رواية بالقبول ، ورواية بعدم القبول.

2- وذهب بعض العلماء - وحكى عن شعبة - إلى أنه لا يؤخذ بتفسير التابعي : وحجتهم في ذلك : أن التابعين ليس لهم سماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يمكن الحمل عليه كما قيل في الصحابي : إنه محمول على سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم، وبأنهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن ، فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد من النص القرآني ، قالوا : ومع ذلك فعدالة التابعين غير منصوص عليها كما نص على عدالة الصحابة : نُقِلَ عن أبي حنيفة الله عنه انه قال ما جاء عن الصحابة فعلى الرأس والعين وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال.

3- وذهب أكثر المفسرين إلى أنه يؤخذ بقول التابعي في التفسير، لأن التابعين تلقوا غالب تفسيراتهم عن الصحابة، فمجاهد-مثلا- يقول : « عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله : فيم نزلت ؟ وكيف كانت ، وقتادة يقول : «ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها ولذا حكى أكثر المفسرين أقوال التابعين في كتبهم ، ونقلوها عنهم مع اعتمادهم لها .

والذي تميل إليه النفس في هذه المسألة هو : أن قول التابعي في التفسير يجب عدم الأخذ به إلا إذا كان مما لا مجال للرأى فيه ، فإنه يؤخذ به حينئذ عند عدم الريبة ؛ فإن ارتبنا فيه بأن كان يأخذ عن أهل الكتاب فلنا أن نترك قوله ولا نعتمد عليه ، أما إذا أجمع التابعون على رأى فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره².

خلاصة القول أن تفسير التابعي أقسام ، ولذا لا يحكم عليه بالعموم من حيث القبول والرد، وهذه الأقسام هي:

1 - ما يرفعه التابعي، وهذا يشمل أسباب النزول والمغيبات؛ كتفسير مجاهد لقوله تعالى:(عسى أن يبعثك ربك مقاما محمود)الإسراء: 79. قال: إقعاده على العرش .

¹. علم التفسير للذهبي، ص30-31

². علم التفسير للذهبي، ص32-33

فمثل هذا القول لا يقبل؛ لأنه من قبيل المراسيل، والمراسيل لا تقبل في مثل هذا الانفراد، أما إذا أجمعوا عليها فإنها في حكم ما أجمعوا عليه.

2 - ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب، وهذا له حكم الإسرائيليات.

3 - ما أجمعوا عليه، وهذا يكون حجة .

4 - ما اختلفوا فيه، وفي هذا القسم لا يكون قول أحدهم حجة على الآخر، ويعمل هنا بالمرجحات.

5 - أن يرد عن أحدهم ولا يعلم له مخالف، وهذا أقل في الرتبة من الوارد عن الصحابي إذا لم يعلم له مخالف، لكنه أعلى من قول من تأخر عنهم¹.

مميزات التفسير في هذه المرحلة

يتميز التفسير في هذه المرحلة بالمميزات الآتية :

1- دخل في التفسير كثير من الإسرائيليات والنصرانيات ، وقد تساهل بعض المفسرين من التابعين ، فزجوا بها في التفسير برغم بطلانها ، ولا شك أن هذا أمر مأخوذ عليهم، كما هو مأخوذ على من بعدهم.

2- ظل التفسير محتفظاً بطابع التلقي والرواية ، غير أنه لم يكن تلقياً ورواية على الشمول كما كان عليه الشأن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان تلقياً ورواية يغلب عليهما طابع الاختصاص : فأهل كل مصر يُعْتَوْنَ بوجه خاص بالتلقي والرواية عن إمام مصرهم : فالمكيون عن ابن عباس . والمدنيون عن أبي ، والعراقيون عن ابن مسعود ، وهكذا.

3- ظهر في التفسير تفسيرات تحمل في طياتها الانتصار لبعض المذاهب الدينية التي ظهرت في هذا العصر.

5- كثر الخلاف بين التابعين في التفسير عما كان بين الصحابة رضوان الله عليهم . وإن كان اختلافاً قليلاً بالنسبة لما وقع بعد ذلك من متأخري المفسرين².

-6

تنبيهات حول تفسير الصحابة والتابعين :

- ✓ لا بد من الاعتناء بصحة السند، وإلا اعتبر القول قولاً مجرداً في التفسير.
- ✓ لا بد من جمع طرق التفسير عن الصحابي أو التابعين، لتمييز الاختلاف في الرواية عنهم والنظر فيها.
- ✓ إذا صح عن الصحابي أو التابعي قولان مختلفان في التفسير ولا يمكن الجمع بينهما فهما كالقولين، إلا إذا دل الدليل على أنه رجع عن أحدهما.

¹فصول في أصول التفسير، ص57
²علم التفسير للذهبي، 33-34.

- ✓ جمع مرويات الصحابة والتابعين في تفسير الآية أدل على المقصود، ولذا يلزم الاهتمام بجمع مروياتهم فيها.
- ✓ ليس كل اختلاف وارد عنهم يعد اختلافاً.
- ✓ هل يجوز إحداث قول بعد إجماعهم على قول في الآية أم لا؟

في المسألة تفصيل:

- إن كان القول المحدث مضاداً لقولهم فهو مردود غير مقبول.
- وإن كان غير مضاد بل تحتمله الآية، فإنه يقبل؛ لأنه ليس مسقطاً لهم في القول¹

المرحلة الثالثة للتفسير

أو التفسير في عصر التدوين

بدء هذه المرحلة :

تبدأ المرحلة الثالثة للتفسير من مبدأ ظهور التدوين ، وذلك في أواخر خلافة بني أمية وأوائل خلافة العباسيين .

خطوات التفسير في هذه المرحلة :

كانت **الخطوة الأولى** للتفسير هي رواية التفسير المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين .

الخطوة الثانية : وذلك حين ابتدأ التدوين لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت أبوابه متنوعة ، وكان التفسير باباً من هذه الأبواب التي اشتمل عليها الحديث .

الخطوة الثالثة : وبها انفصل عن الحديث ، فأصبح علماً قائماً بنفسه ، ووضع التفسير لكل آية من القرآن على حسب ترتيب المصحف ، وتم ذلك على أيدي طائفة من العلماء منهم : ابن ماجة المتوفى سنة 273 هـ، وابن جرير الطبري المتوفى سنة 310 هـ وغيرهما ، وكل هذه التفسيرات مروية بالإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الصحابة والتابعين وتابعيهم - وليس في واحد منها شيء من التفسير أكثر من التفسير المأثور ، اللهم إلا ابن جرير الطبري ، فإنه ذكر الأقوال ، ثم وجهها ، ورجح بعضها على بعض ، وزاد على ذلك الإعراب إن دعت إليه حاجة ، كما استنبط الأحكام التي تؤخذ من الآيات القرآنية .

الخطوة الرابعة : لم يتجاوز فيها حدود التفسير بالمأثور . وإن كان قد تجاوز روايته بالإسناد ، فصنف في التفسير خلق كثير : اختصروا الأسانيد ، ونقلوا الأقوال المأثورة عن المفسرين من أسلافهم دون أن ينسبوها إلى قائلها ؛ فدخل الوضع في التفسير ، واختلط الصحيح بالعليل ، وكان هذا هو مبدأ الوضع في التفسير .

¹فصول في اصول التفسير، ص58

الخطوة الخامسة : وهي أوسع الخطى وأفسحها : امتدت من العصر العباسي إلى يومنا هذا ، فبعد ما كان تدوين التفسير مقصوراً على رواية ما نقل عن سلف الأمة تجاوز بهذه الخطوة الواسعة إلى تدوين تفسير إختلط فيه التفسير العقلي بالتفسير النقلي المأثور ، وهنا بدأ التفسير العقلي يظهر بصورة ملحوظة ولكن على تدرج :

بدأ التفسير العقلي – أولاً- على هيئة محاولات فهم شخصي وترجيح لبعض الأقوال على بعض .. ثم ظلت محاولات هذا الفهم الشخصي تزداد شيئاً فشيئاً متأثرة بالمعارف المختلفة . والعلوم المتنوعة ، والآراء المتشعبة ، والعقائد المتباينة ؛ حتى وُجد من كُتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة لا تكاد تتصل بالتفسير إلا عن بعد عظيم .

دونت علوم اللغة ، ودون النحو والصرف ، وأثيرت مسائل الكلام ، وظهر التعصب المذهبي على قدمه وساقه في العصر العباسي ، وقامت الفرق الإسلامية بنشر مذاهبها والدعوة إليها، وترجمت كتب كثيرة من كتب الفلاسفة ، فامتزجت كل هذه العلوم بالتفسير حتى طغت عليه، وغلب الجانب العقلي فيها على الجانب النقلي .

فاتجهت الكتب المؤلفة في التفسير اتجاهات متنوعة ، وتحكمت المصطلحات العلمية والعقائد المذهبية - في عبارات القرآن الكريم ؛ فظهرت آثار الثقافة الفلسفية والعلمية للمسلمين في تفسير القرآن ؛ كما ظهرت آثار التصوف واضحة فيه وكذلك ظهرت آثار النحل والأهواء فيه ظهوراً جلياً .

و كل من برع في فن من فنون العلم يكاد يقتصر تفسيره على الفن الذي برع فيه .¹

الاختلاف في تفسير السلف:

الاختلاف لغة على وزن افْتَعَلَ، والخلاف والاختلاف في اللغة: ضد الاتفاق؛ قال الراغب الأصفهاني: "الخلاف والاختلاف في اللغة ضد الاتفاق، وهو أعمُّ من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين."²

الاختلاف في تفسير السلف.

وجود الاختلاف من طبائع البشر التي لا تتفك عنهم، وهو من قدر الله فيهم.

ففي ألسنتهم اختلاف، وفي ألوانهم، وفي عقائدهم، وفي أفكارهم ... إلخ، والمقصود أن وقوع الاختلاف بين علماء الأمة ليس ذماً عليهم، إذ لا أحد من المجتمعات يسلم منه.

وقد وقع الاختلاف في التفسير كما وقع في الأحكام، ولهذا الاختلاف أسباب أوجبته، وعلل أوجده، والأمر في الاختلاف في النص إذا كان معلوماً للمجتهدين يرجع إلى أحد شيئين:

الأول: اختلاف فهم المجتهدين من العلماء.

¹. علم التفسير للذهبي، ص37-36-38

لمفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: 502 هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، كتاب الخاء² مادة: خلف، (ص 155)، دار المعرفة لبنان.

الثاني: أن يكون النص محتملاً لأكثر من معنى.

إذا فالخلاف منه ما يرجع إلى المجتهد، ومنه ما يرجع إلى النص¹.

تعريف اختلاف التنوع واختلاف التضاد

اختلاف التنوع:

- هو أن تحمل الآية على جميع ما قيل فيها إذا كانت معان صحيحة غير متعارضة .
- ومنه ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر، ولكن العبارتين مختلفتان .
- ومنه ما يكون المعنيان متغايرين، لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح وهذا قول صحيح وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر².

أنواعه:

- 1- أن يعبر كل واحد من المفسرين بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى .
- 2- أن يذكر المفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل.
- 3- أن يكون اللفظ محتملاً لأمرين، إما بسبب الاشتراك وإما بسبب التواطؤ .
- 4- أن يعبروا عن المعنى بألفاظ متقاربة³.

اختلاف التضاد:

هما القولان المتنافيان بحيث لا يمكن القول بهما معاً، فإذا قيل بأحدهما لزم منه عدم القول بالآخر⁴.

ومن أسباب الاختلاف بين مفسري السلف:

- 1 - الاشتراك: وهو اللفظ الدال على أكثر من معنى في لغة العرب. والمشارك قد يكون من أحرف التضاد، وقد لا يكون. وإذا كان من أحرف التضاد فقد يجوز حمل الآية على المعنيين المتضادين، ويكونان بمثابة التفسيرين للآية، ويكون هذا إذا اختلف المحل. وقد يمتنع حمل الآية عليهما معاً: ويلزم من القول بأحدهما نفي الآخر⁵.
- 2 - الاختلاف في مفسر الضمير، وهو أنواع:
الأول: أن يكون في الآية ضمير يحتمل عوده إلى أكثر من مذكور.

فصول في أصول التفسير ص 87¹.

فصول في أصول التفسير ص 80².

نفسه ص 97³.

نفسه ص 80⁴.

نفسه ص 88⁵.

الثاني: أن يكون في الآية ضميران، وكل واحد منهما يرجع إلى مرجع لا يرجع إليه الآخر، فيكون للآية أكثر من معنى، فينص كل واحد من المفسرين على أحد هذه المعاني¹.

3 - أن يكون في الجملة حذف:

ويحتمل في تقديره أكثر من معنى، فيذكر كل واحد أحد المعاني المحتملة².

4 - أن تحتل اللفظة أكثر من تصريف في اللغة:

ويحمل كل واحد من المفسرين الآية على أحد التصريفات³.

5 - تنوع الاستعمال العربي للفظ في إرادة المعاني القريبة والمعاني البعيدة:

فيحمل بعضهم اللفظة على المعنى القريب الظاهر، ويحملة آخرون على المعنى البعيد، وهذا النوع قريب من المشترك⁴.

6 - أن يدور حكم الآية بين الإحكام والنسخ:

فيحكم بعضهم بالنسخ، ويحكم الآخر بالإحكام⁵.

7 - أن يدور حكم الآية بين العموم والخصوص⁶.

8 - أن يذكر الوصف المحتمل لأكثر من موصوف.

ولا يحدد موصوفه في الآية، فيحمل كل مفسر هذا الوصف على ما يحتمله من الموصوفات. وهذا النوع قريب من الذي قبله، بل هو باب منه⁷.

9 - أن يكون في الآية حرف له قراءتان :

فيفسر أحدهم إحدى القراءتين؛ ويفسر الآخر الأخرى، فيختلف التأويل⁸.

هذه بعض أسباب الاختلاف التي ذكرها د. مساعد الطيار في كتابه فصول في أصول التفسير.

¹ نفسه 89-90

² نفسه ص 91.

³ نفسه ص 91

⁴ نفسه ص 92

⁵ نفسه ص 93

⁶ نفسه ص 94

⁷ نفسه ص 94

⁸ نفسه ص 95

المنهج الذي يجب على المفسر أن ينهجه في تفسيره:

- على كل من يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينهج في تفسيره منهجاً يراعى فيه القواعد الآتية ، بحيث لا يحيد عنها ، ولا يخرج عن نطاقها وهذه القواعد هي ما يأتي:
- 1 - مطابقة التفسير للمفسر ، من غير نقص لما يحتاج إليه في إيضاح المعنى ، ولا زيادة لا تليق بالعرض ولا تناسب المقام ، مع الاحتراز من أن يكون التفسير في زيغ عن المعنى ، وعدول عن المراد .
 - 2- مراعاة المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ، فلعل المراد المجازي فيحمل الكلام على الحقيقة أو العكس .
 - 3- مراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام ، والمؤاخذة بين المفردات .
 - 4 - مراعاة التناسب بين الآيات : فيبين وجه المناسبة ، ويربط بين السابق واللاحق من آيات القرآن، حتى يوضح أن القرآن لا تفكك فيه، وإنما هو آيات متناسبة يأخذ بعضها بحجز بعض.
 - 5 - ملاحظة أسباب النزول ؛ فكل آية نزلت على سبب ، فلا بد من ذكره بعد بيان السبب ، وقبل الدخول في شرح الآية .
 - 6- بعد الفراغ من ذكر المناسبة وسبب النزول - يبدأ بما يتعلق بالألفاظ المفردة : من اللغة ، والصرف ، والاشتقاق ، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب ، فيبدأ بالإعراب ، ثم بما يتعلق بالمعاني ، ثم البيان ، ثم البديع ، ثم يبين المعنى المراد ، ثم يستنبط ما يمكن استنباطه من الآية في حدود القوانين الشرعية .
 - 7- على المفسر أن يتجنب ادعاء التكرار في القرآن ما أمكن : نقل السيوطي عن بعض العلماء أنه قال : « مما يدفع توهم التكرار في عطف المترادفين نحو (لا تبقى وَلَا تَذَرِ) سورة المدثر - الآية 28 ، (صَلَّاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٍ) سورة البقرة - الآية 157 وأشبه ذلك ، أن يعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما ؛ فإن التركيب يحدث معنى زائداً. وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ (الإتيان ج 2 ص 185-186)
 - 8- وعلى المفسر - أيضاً - أن يتجنب كل ما يعتبر من قبيل الحشو في التفسير : كالخوض في ذكر علل النحو ، ودلائل مسائل أصول الفقه ، ودلائل مسائل الفقه ، ودلائل مسائل أصول الدين ؛ فإن كل ذلك مقرر في تأليف هذه العلوم ، وإنما يؤخذ ذلك مسلماً في علم التفسير دون استدلال عليه .
 - 9- وكذلك على المفسر أن يتجنب ذكر ما لا يصح من أسباب النزول ، وأحاديث فضائل السور (التي وضعها أبو عصمة نوح ابن مريم) وكذلك القصص الموضوع ، والأخبار الإسرائيلية ، فإن هذا مما يذهب بجمال القرآن ، ويشغل الناس عن التدبر والاعتبار .
 - 10 - على المفسر - بعد كل هذا - أن يكون يقظاً فطناً عليمًا بقانون الترجيح حتى إذا ما كانت الآية محتملة لأكثر من وجه يرجح ويختار¹.

¹. علم التفسير للذهبي، ص 59-60

أنواع التفسير:

إذا نحن تتبعنا كتب التفسير على اختلاف أزمانها ، وتنوع مناهجها واتجاهاتها، وجدنا أن المناحي العامة التي تجمع هذه المناهج والاتجاهات تنحصر في خمسة أنواع من التفسير . وهي :

- 1-التفسير المأثور .
 - 2-التفسير بالرأى أو التفسير العقلى .
 - 3-التفسير الموضوعي .
 - 4-التفسير الإشارى .
 - 5-التفسير العلمي .
- ونتكلم عن كل نوع من هذه الأنواع المختلفة فنقول :

1 - التفسير المأثور

التفسير المأثور :

ما يمكن أن يطلق عليه تفسير بالمأثور، ويجب الأخذ به، ثلاث أنواع:

الأول: ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تفسيره القرآن.

الثاني: ما روي عن الصحابة مما له حكم المرفوع؛ كأسباب النزول والمغيبات.

الثالث: ما أجمع عليه الصحابة أو التابعون، وهذا يلحق بالمأثور، لوجوب الأخذ به ؛ لأن الإجماع حجة.

وأما تفسير الصحابة فإن كان مجمعا عليه، أو كان سبب نزول، أو إخبارا عن أمر غيبي فهو في حكم المرفوع وإن كان غير ذلك، فهو من باب الاجتهاد والرأى، سواء كان معتمده اللغة، أو غيرها من أدوات الاجتهاد في التفسير.

وتفسير التابعي يلحق بالمأثور إذا كان مما أجمع عليه التابعون، وما عداه فهو تفسير بالرأى¹.

¹فصول في اصول التفسير، ص74-75

تطور التفسير المأثور بين الرواية والتدوين :

ولقد مر التفسير بالمأثور - كما أشرنا من قبل - بطورين : طور الرواية . وطور التدوين :
أما طور الرواية : فقد بدأ من عصر النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان عليه الصلاة والسلام يفسر لأصحابه ما خفى عليهم من القرآن الكريم ، وكان الصحابة يتلقونه عنه ثم يرويه بعضهم لبعض ، أو لمن عاصروهم من التابعين .
ثم وجد من التابعين من تكلموا في التفسير بما ثبت لديهم عن رسول ، أو عن بعض أصحابه أو بما فتح الله به عليهم ، ونقل ذلك من عاصروهم من أتباع التابعين .
ولقد كان شأن رواية التفسير المأثور كشأن رواية الحديث بعامة من ناحية تحرى الصحة وعدمها ، فقد استمر هذا التحرى والتثبت إلى آخر الصحابة ، أما بعد عصر الصحابة فقد أدخل بعض الرواة في التفسير ما ليس منه تهاونا منهم ، أو نصرة لمذهب معين.¹

وأما طور التدوين

فقد بدأ - كما قلنا آنفاً - بانتهاء مرحلة الرواية وابتداء مرحلة التدوين للعلوم بعامة ، وكان التفسير من بين العلوم التي دونت ، وكان تدوينه على تدرج ملحوظ نجمه فيما يلي :
1- بدأ تدوين التفسير على أنه جزء من الحديث ، فأفردوا له باباً من أبواب الحديث المختلفة ، فكانوا يجمعون فيه ما أثر في التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة والتابعين متحرين الصحة في ذلك ما أمكنهم.
2- ثم بعد ذلك انفصل التفسير عن الحديث ، وأفرد بتأليف خاص ، وكان أول ما عرف من ذلك تلك الصحيفة التي رواها على بن طلحة عن ابن عباس.
3- ثم وجد من ذلك جزء أو أجزاء دونت في التفسير خاصة : كالجزء المنسوب لأبى روق ، والأجزاء الثلاثة التي يرويها محمد بن ثور عن ابن جريج (الاتقان ج2 ص88) . وكانوا يتحررون الصحة فيما يجمعون ما أمكنهم.
4- ثم دونت موسوعات في التفسير جمعت كل ما وقع لأصحابها من التفسير المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أصحابه والتابعين ، دون أن يلتزموا بالصحيح من ذلك مكتفين بذكر أسانيد ما يجمعون ؛ ذلك لأنهم يرون أنهم بذكرهم للأسانيد قد خرجوا من العهدة وحملوا غيرهم تبعة البحث عن حال الرواة ، وقد قرر ذلك علماء أصول الحديث بقولهم : (من أسند لك فقد حمّلك) : ومن هذه الموسوعات تفسير ابن جرير الطبري المتوفى سنة 310 هـ .

5- ثم دونت بعد ذلك موسوعات في التفسير ، ولم يتحر أصحابها الصحة فيما يروون ، ولم يذكروا الأسانيد ، وهؤلاء قد أساءوا للتفسير المأثور إساءة بالغة : لأنهم خلطوا بين ما يصح وما لا يصح ، ولم يبينوا لنا رجال الأسانيد حتى نستطيع أن نحكم لهم أو عليهم : ومن هذه الموسوعات تفسير (بحر العلوم) لأبى الليث السمرقندي المتوفى سنة 373هـ، فلا تكاد تقع فيه على إسناد إلا نادراً.

¹. علم التفسير، ص40-41

6- ثم بعد ذلك انتقل التدوين في التفسير من تدوين التفسير المأثور إلى تدوين التفسير بالرأى.¹

تطرق الضعف إلى التفسير المأثور وأسبابه :

مما لا شك فيه أن الضعف قد تطرق إلى التفسير المأثور حتى كاد يذهب بالثقة فيه والاطمئنان إليه .

ولقد بدأ الضعف يتطرق إلى التفسير المأثور بصورة مزعجة في أول عصر التابعين ، وعلى وجه التحديد سنة إحدى وأربعين من الهجرة : حينما انقسم المسلمون إلى شيعة وخوارج وجمهور ، وحينما كثرت الفتوح الإسلامية وانتسب إلى الإسلام حاقدون عليه يريدون تخريبه من أساسه ، وحينما تعددت المذاهب الدينية والسياسية وأراد أصحابها أن يدعموها ولو بالأحاديث الموضوعة التي يخلقونها ثم ينسبونها إلى نبي الإسلام أو إلى أحد أصحابه . ونستطيع أن نرجع أسباب الضعف في رواية التفسير المأثور إلى أمور ثلاثة :

أولها : كثرة الوضع في التفسير المأثور .

ثانيها : دخول الإسرائيليات فيه.

ثالثها : حذف الأسانيد منه.

أما كثرة الوضع في التفسير المأثور : فقد أضعفت الثقة فيه ، وأحاطته بسياج من الشك جعلت العلماء يردون كل رواية تطرق إليها شيء من الضعف ، وربما كانت صحيحة في ذاتها .

كما أن اختلاط الصحيح بالعليل من الروايات جعل بعض من ينظر فيها وليس عنده القدرة على التمييز بينها - ينظر إلى الجميع نظرة واحدة فيحكم لها جميعاً بالصحة ، وبهذا يختلط الأمر على الناظرين في هذه الروايات ، ويبقى دور نقاد الحديث الذين يقدرّون على تمييز صحيحه من عليله ، وما أشقها من مهمة !

الإسرائيليات و التفسير المأثور : المراد بالإسرائيليات في التفسير كل ما روي عن بني إسرائيل كأخبار اليهود والنصارى مما جاء في كتبهم.

وعند النظر والتأمل في هذه الروايات فإنها لا تخرج عن ثلاثة أقسام:

القسم الأول : المردود؛ وذلك لكذب روايتها ووضعهم، أو لمخالفتها العقيدة والشرع، أو لنسخها بشرعنا، أو لمعارضتها لشرعنا.

القسم الثاني : المقبول؛ وذلك لموافقتها للأدلة الشرعية.

القسم الثالث: المسكوت عنه، وهذا القسم الذي وقع فيه الخلاف بين المفسرين فمنهم من ردها، ومنهم من توسع فيها، ومنهم من استشهد واستأنس بها.²

وقد بدأ الأخذ بها منذ عصر الصحابة ، ولكنهم لم يتعدوا منطقة الإباحة التي حدها لهم رسول الله بقوله : « بلغوا عني ولو آية . وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي

¹. علم التفسير للذهبي، ص41-42

². محاضرات في أصول التفسير، لأبراهيم بلوش، ص31

متعمداً فليتبوأ مقعده من النار (البخاري) ، وبقوله : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم .
وقولوا : « آمنا بالله وما أنزل إلينا . . » الآية) (البخاري. باب التفسير) .

وفى زمن التابعين توسع القوم في الأخذ عن أهل الكتاب ، فكثرت في عهدهم الروايات
الإسرائيلية في التفسير لكثرة من دخل في الإسلام من أهل الكتاب ، وميل نفوس القوم لسماع
التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية .

ثم جاء بعد عصر التابعين من شغفوا بالإسرائيليات ، وأفرطوا في الأخذ منها إلى درجة
جعلتهم لا يردون قولاً ، ولا يحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن كل ما يروى لهم وإن كان لا
يتصوره عقل بشر !

وقد استمر هذا الشغف بالإسرائيليات والولع بروايتها - مهما كان فيها من خرافة - حتى جاء
عصر التدوين ، فوجد من المفسرين من حشوا كتبهم بهذا القصص الإسرائيلي الذي كاد يصدّ
الناس عن النظر فيها والركون إليها.

ولقد كان للقصص والإخباريين دور كبير في ترويج هذه الخرافات والأباطيل ، وهؤلاء
وغيرهم ممن ساروا في ركابهم قد وضعوا الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير ، وشككوا
في كثير من الأخبار الصحيحة التي رووها ضمن ما رووه من قصص مكذوب .

وأما حذف الأسانيد : فلم يعرف ذلك إلا التابعين حيث تهاون الرواة في الرواية ، ولم
يصلوها برواتها ، وقد اندفع بعض المشتغلين بالتفسير وراء هذا المبدأ : فوجدنا منهم من
ألفوا في التفسير ، فاختصروا الأسانيد ، ونقلوا الأقوال غير معزوة لقائلها ، ولم يتحروا
الصحة فيما يروون ، فدخل من هنا الدخيل ، والتبس الصحيح بالعليل !

ثم صار كل من يسنح له قول يورده ، ومن يخطر بباله شيء يعتمد ، ثم ينقل ذلك من يجيء
بعده ظاناً أن له أصلاً غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف.

....وبعد فلعله قد استبان لنا خطورة هذه الأمور الثلاثة على التفسير المأثور، ولعل من
الواضح أن أشدها خطورة هو حذف الأسانيد : ذلك لأن خطر الوضع ، وخطر الإسرائيليات
كان من الممكن تلافيهما لو ذكرت الأقوال بأسانيدها، ولكن حذفها - مع مع الأسف - عمى
علينا كل شيء ، وليت هؤلاء الذين حذفوا الأسانيد ذكروها لنا لننتقد رجالها ؛ حتى نعرف
من يؤخذ عنه ، ومن يرد عليه !

هذا ، وإن من أشهر ما دون في التفسير المأثور على مدى تاريخ التفسير ما يلي:

1- جامع البيان في تفسير القرآن : لابن جرير الطبري - المتوفى سنة 310 هـ

2- معالم التنزيل : لأبي محمد الحسين البغوي ، المتوفى سنة 510 هـ

3- تفسير القرآن العظيم : للحافظ بن كثير الدمشقي ، المتوفى سنة 774 هـ

7- الدر المنثور : لجلال الدين السيوطي سنة 911 هـ.¹

¹. علم التفسير للذهبي، ص41-42

2- التفسير بالرأى أو التفسير العقلى

حقيقة التفسير بالرأى:

التفسير بالرأى أو التفسير العقلى معناه : تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ، ومناحيهم في القول ، ومعرفة للألفاظ العربية ووجوه دلالتها ، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ، ووقوفه على أسباب النزول ، ومعرفة بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم ، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر .

موقف العلماء من التفسير بالرأى:

اختلف العلماء من قديم في جواز التفسير بالرأى :

- ففريق منهم قال بعدم جوازه حتى لمن كان ملماً بكل العلوم والأدوات التي يحتاج إليها المفسر ، وقالوا بوجوب انتهاء المفسر إلى ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة، وعن الذين أخذوا عنهم من التابعين .

- وفريق آخر من العلماء قال جوازه لمن كان ملماً بكل العلوم والأدوات التي يحتاج إليها المفسر .

وقد استدل كل فريق بأدلة نوجزها فيما يلي :

أدلة القائلين بعدم الجواز:

1- قالوا : إن التفسير بالرأى قول على الله بغير علم ، والقول على الله بغير علم منهي عنه، فالتفسير بالرأى منهي عنه .

2- قالوا : إن الله تعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام : { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم } ، فقد أضاف البيان إليه، فعلم أنه ليس لغيره شيء من البيان لمعاني القرآن .

3- قالوا : ورد في حديث رواه الترمذى مرفوعاً وحسنه ، (ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)، وورد في حديث رواه الترمذى وأبو داود عن جندب أنه قال : قال رسول الله : (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) .

3- قالوا : ورد عن السلف من الصحابة والتابعين من الآثار ما يدل على أنهم كانوا يعظمون تفسير القرآن ، ويخرجون من القول فيه بأرائهم ، فمن ذلك : ما جاء عن أبي مليكة أنه قال : سئل أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - في تفسير حرف من القرآن فقال : أى سماء تظلني ، وأى أرض تقلني ، وأين أذهب إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد الله تبارك وتعالى ؟.

وما جاء عن سعيد بن المسيب : أنه كان إذا سئل عن الحلال والحرام تكلم ، وإذا سئل عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع شيئاً.¹

¹.المرجع السابق ج 1 ص 85.86. وقد روى الأثر بروايات مختلفة

وغير ذلك من الروايات التي تدل على تخرج كثير من السلف عن القول في القرآن باجتهادهم¹.

أدلة القائلين بالجواز :

1 - قالوا : ورد في القرآن نصوص كثيرة تدل على جواز التفسير بالرأى لمن هم أهل لذلك ، فمن ذلك : قوله تعالى : أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (سورة محمد - الآية 24) ومنه قوله تعالى : كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب (سورة ص - الآية 29)

ومنه قوله تعالى : « وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » (سورة النساء - الآية 83)

2 - قالوا : لو كان التفسير بالرأى غير جائز ما كان الاجتهاد جائزاً ، ولتعطل كثير من الأحكام ، وهذا باطل بين البطلان ؛ لأن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحاً إلى اليوم والمجتهد مأجور ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يفسر لنا جميع آيات القرآن ، ولم يستنبط لنا جميع أحكامه.

3- قالوا : إن الصحابة - رضوان الله عليهم - قالوا في القرآن برأيهم ، واختلفوا في فهم بعض نصوصه ، ومعلوم أنهم لم يسمعوا كل ما قالوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان القول بالرأى في القرآن محظوراً لكانوا قد خالفوا ووقعوا فيما حرم الله ، وهذا ما نعيذ الصحابة من الوقوع فيه.

4- قالوا : إن النبي دعا لابن عباس - رضي الله عنهما - بقوله : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » فلو كان التأويل مقصوراً على السماع والنقل كالتنزيل ما كان هناك فائدة لتخصيص ابن عباس بهذا الدعاء ، فدل ذلك على أن التأويل الذي دعا به الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس أمر آخر وراء السماع والنقل ، وهو التفسير بالرأى والاجتهاد .

وحقيقة الأمر هي : أننا لو رجعنا إلى هؤلاء المتشددین في التفسير ، وعرفنا سر تشددهم فيه ، ثم رجعنا إلى هؤلاء المجوزين للتفسير بالرأى ، ووقفنا على ما شرطوه من شروط لابد منها لمن يتكلم في التفسير برأيه ، وحللنا أدلة الفريقين تحليلاً دقيقاً - لظهر لنا أن الخلاف لفظي لا حقيقي ، وذلك أن الرأى قسمان :

1- قسم جارٍ على موافقة كلام العرب ومناحيهم في القول ، مع موافقة الكتاب والسنة ، ومراعاة سائر شروط التفسير ، وهذا القسم جائز لا شك فيه ، وعليه يحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأى .

2- وقسم غير جارٍ على قوانين العربية ، ولا موافق للأدلة الشرعية ، ولا مستوف لشرائط التفسير ، وهذا هو مورد النهي ومحط الذم ، وهو الذي يرمى إليه كلام عمر - رضي الله عنه - إذ يقول " إنما أخاف عليكم رجلين : رجل يتأول القرآن على غير تأويله ، ورجل ينافس الملك على أخيه " فهذا ونحوه وارد في حق من لا يراعى في تفسير القرآن قوانين اللغة ، ولا أدلة الشريعة جاعلاً هواه رائده ، ومذهبه قائده ؛ وهذا هو الذي يحمل عليه كلام

¹. علم التفسير للذهبي، ص48-49

المانعين للتفسير بالرأى : قال ابن تيمية - بعد أن ساق الآثار عمن تخرج من السلف من القول بالتفسير - فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم من الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه ؛ ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة ؛ لأنهم تكلموا فيما علموه ، وسكتوا عما جهلوه ، هذا هو الواجب على كل أحد ؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه ؛ لقوله تعالى : « لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ » (سورة آل عمران - الآية 187) ، ولما جاء في الحديث المروى من طرق : «من سئل عن علم فكتمه الجرم يوم القيامة بلجام من نار»¹.

العلوم التي يحتاج إليها المفسر بالرأى:

اشتراط العلماء في المفسر الذي يريد أن يفسر القرآن برأيه فيما لم يرد فيه أثر صحيح : أن يكون ملماً بجملّة العلوم التي يستطيع بها أن يفسر القرآن تفسيراً عقلياً مقبولاً ، وجعلوا هذه العلوم بمثابة ادوات تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ ، وتحميه من القول على الله بغير علم . وهذه العلوم هي:

- 1- علم اللغة : لأن به يمكن شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع .
- 2- علم النحو : لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فلا بد من اعتباره .
- 3- علم الصرف : لأن به تعرف الأبنية والصيغ .
- 4- علم الاشتقاق : لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافها .
- 5-6-7: علوم البلاغة الثلاثة : (المعاني ، والبيان . والبديع) : فعلم المعاني : يعرف به خواص تراكييب الكلام من جهة إفادتها المعنى . - وعلم البيان : يعرف به خواص تراكييب الكلام من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها . - علم البديع : يعرف به وجوه تحسين الكلام .
- 8- علم القراءات : إذ بمعرفة القراءة يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض.
- 9- علم أصول الدين (وهو علم الكلام) : وبه يستطيع المفسر أن يستدل على ما يجب في حقه تعالى ، وما يجوز ، وما يستحيل ، وأن ينظر في الآيات المتعلقة بالنبوات والمعاد ، وما إلى ذلك نظرة صائبة .
- 10- علم أصول الفقه : إذ به يعرف كيف يستنبط الأحكام من الآيات ويستدل عليها، و يعرف الإجمال والتبيين ، والعموم والخصوص . والإطلاق والتقييد . والأمر والنهي . وما سوى ذلك من كل ما يرجع إلى هذا العلم .
- 11- أسباب النزول : إذ إن معرفة أسباب النزول تعين على فهم المراد من الآية.
- 12- علم القصص : لأن معرفة القصة تفصيلاً تعين على توضيح ما أجمل منها في القرآن .
- 13- علم النسخ والمنسوخ : وبه يعرف المحكم من غيره ، ومن فقد هذه الناحية فربما أفتى بحكم منسوخ فيقع في الضلال والإضلال .

¹. علم التفسير الذهبي، ص50-52

14- علم الحديث : ليستعين به على معرفة المجمل والمبهم ، وغير ذلك مما جاءت السنة شارحة ومبينة له.

15- علم الموهبة : وهو علم يورثه الله تعالى من عمل بما علم، وإليه الإشارة بقول الله عز وجل : « واتقوا الله ويعلمكم الله (سورة البقرة - الآية 282) وقوله عليه الصلاة والسلام : (مَنْ عَمِلَ بِمَا علم ورثه الله علم ما لم يعلم)¹.

قال ابن أبي الدنيا: وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له قال: فهذه العلوم- التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسرا إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي المنهي عنه وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأي المنهي عنه.

قال: والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكْتساب واستفادوا العلوم الأخرى من النبي صلى الله عليه وسلم.²

هذا وقد زاد بعض العلماء علم أحوال البشر ، وبعضهم علم التاريخ وتقويم البلدان ، وبعضهم نقص مما ذكرناه ، وأيا ما كان الأمر فكل علم يتوقف عليه تفسير شيء من كتاب الله تعالى تجب على المفسر معرفته ، وإلا كان غير مستوف لشروط التفسير.³

مصادر التفسير لمن يقول في القرآن برأيه

كل من يقول في التفسير برأيه لا يجوز له بحال من الأحوال أن يهمل تفسير القرآن للقرآن ، ولا ما صح من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وأصحابه، ولو أن مفسراً أهمل شيئاً من ذلك ولم ينظر فيه ويأخذ به لعد من المفسرين بالرأي المذموم ؛ لأن رأيه حينئذ يكون معارضاً لما هو أقوى منه وأحق بالقبول . ولتفصيل ذلك نقول :

إن المصادر التي يجب على المفسر أن يرجع إليها عند شرحه للقرآن حتى يكون تفسيره جائزاً ومقبولاً هي ما يلي :

أولاً : الرجوع إلى القرآن نفسه : وذلك بأن ينظر في القرآن نظرة فحص مدقق ، ويجمع الآيات التي في موضوع واحد ، ثم يقارن بعضها ببعضها الآخر ؛ فإن من الآيات ما أجمل في مكان وفسر في مكان آخر... ومنها ما أوجز في موضع وبسط في موضع آخر . . . فيحمل المجمل على المفسر ، ويشرح ما جاء موجزاً بما جاء مسهباً مفصلاً إلخ ، وهذا ما يسمونه تفسير القرآن بالقرآن ، فإن عدل برأيه فقد أخطأ ، وقال برأيه المذموم .

ثانياً : النقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم مع الاحتراز عن الضعيف والموضوع إلا فإنه كثير . فإن وقع له تفسير صحيح عن رسول الله له فليس له أن يعدل عنه ويقول برأيه ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ومؤيد من ربه ، وموكل إليه أن يبين للناس ما نزل إليهم ، فمن يترك ما صح عن النبي الله في التفسير إلى رأيه فهو قائل بالرأي المذموم.

ثالثاً : الأخذ بما صح عن الصحابة في التفسير ، ولا يغتر بكل ما ينسب لهم من ذلك ؛ لأن في التفسير كثيراً مما وضع على الصحابة كذباً واختلاقاً ، فإن وقع على قول صحيح لصحابي في التفسير فليس له أن يهجره ويقول برأيه ؛ لأنهم أعلم بكتاب الله ، وأدرى بأسباب

1.. علم التفسير للذهبي، ص53-54. الالتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج4 ص216.

2. الالتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج4 ص216.

3. علم التفسير للذهبي، ص54.

التنزيل ؛ لما شاهدوه من القرائن والأحوال ، ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح ولا سيما علماؤهم وكبرائهم.

ثم هل للمفسر أن يعدل عن أقوال التابعين في التفسير ، أو لا بد له من الرجوع إلى أقوالهم ؟ خلاف سبق لنا أن عرضنا له فلا داعي لإعادته.

رابعاً : الأخذ بمطلق اللغة : لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، ولكن على المفسر أن يحترز من صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب، ولا توجد غالباً إلا في الشعر و نحوه هذا ويكون المتبادر خلافها : روى البيهقي في الشعب عن مالك رضى أنه قال : (لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله الا جعلته نكالاً)

خامساً : التفسير بالمقتضى من الكلام ، والمقتضب من قوة الشرع ؛ وهذا هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) والذي عناه على رضى الله عنه بقوله حين سئل : هل عندكم عن رسول الله شيء بعد القرآن ؟ - « لا ، والذي فلق الحبة وبرأ السمّة إلا فهم يؤتية الله عز وجل رجلاً في القرآن) ومن هنا اختلف الصحابة في فهم بعض آيات القرآن ، فأخذ كل بما وصل إليه عقله ، وأداه إليه نظره ¹.

الأمور التي يجب على المفسر بالرأى أن يتجنبها في تفسيره

هناك أمور يجب على المفسر أن يتجنبها في تفسيره حتى لا يقع في الخطأ ويكون ممن قال في القرآن برأيه الفاسد ، وإليك هذه الأمور :

- 1 - التهجم على بيان مراد الله تعالى من كلامه مع الجهالة بقوانين اللغة ، وأصول الشريعة ، وبدون أن يحصل العلوم التي يجوز معها التفسير .
- 2 - الخوض فيما استأثر الله بعلمه : وذلك كالمتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، فليس للمفسر أن يتهجم على الغيب بعد أن جعله الله تعالى سرا من أسرارهِ وحجة على عباده .
- 3 - السير في الهوى والاستحسان : فلا يفسر بهواه ، ولا يرجح باستحسانه.
- 4 - التفسير المقرر للمذهب الفاسد : بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً فيحتال في التأويل حتى يصرفه إلى عقيدته ، ويرده إلى مذهبه بأي طريق أمكن ، وإن كان غاية في البعد والغرابة .
- 5 - التفسير مع القطع بأن مراد الله كذا وكذا من غير دليل ، وهذا منهي عنه شرعاً ، لقوله تعالى : {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَالاً تَعْلَمُونَ} البقرة الآية 167.²

منشأ الخطأ في التفسير بالرأى:

يرجع الخطأ في التفسير بالرأى - غالباً - إلى جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين ؛ فإن الكتب التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفاً غير ممزوج بغيره كتفسير عبد الرزاق، وعبد

¹. علم التفسير للذهبي، ص55-57

². علم التفسير للذهبي، ص58

بن حميد ، وغيرهما لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين، بخلاف الكتب التي جذت بعد ذلك فإن كثيراً منها - كتفسير المعتزلة والشيعة - مملوءة بأخطاء لا تغتفر، حملهم على ارتكابها نصره المذهب والدفاع عن العقيدة .

أما هاتان الجهتان اللتان يرجع إليهما الخطأ في الغالب فهما ما يلي :

الجهة الأولى : أن يعتقد المفسر معنى من المعاني ، ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن على ذلك المعنى الذي يعتقده .

الجهة الأخرى : أن يفسر القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب ، وذلك بدون نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه ، والمخاطب به .

فالجهة الأولى مراعى فيها المعنى الذي يعتقده المفسر من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان .

والجهة الأخرى مراعى فيها مجرد اللفظ ، وما يجوز أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به ، والمخاطب ، وسياق الكلام.¹

التعارض بين التفسير المأثور والتفسير بالرأى

أولاً : لا يعقل تعارض بين التفسير المأثور والتفسير بالرأى المذموم : لأن التفسير بالرأى المذموم ساقط من أول الأمر ، وخارج عن محيط التفسير بمعناه الصحيح .

ثانياً : التفسير بالرأى المحمود هو الذى يعقل التعارض بينه وبين التفسير المأثور ، وهذا هو الذى نريد أن نتكلم فيه فنقول :

إن الصور العقلية التي يحصل فيها التعارض بين التفسير المأثور والتفسير بالرأى المحمود هي :

- 1 - أن يكون التفسير العقلي قطعياً والمأثور قطعياً ، وهذه صورة فرضية ؛ لأنه لا يعقل تعارض بين قطعى وقطعى ، ومن المحال أن يتناقض الشرع والعقل .
- 2 - أن يكون أحدهما قطعياً ، والآخر ظنياً ، وفى هذه الصورة يقدم القطعى على الظني إذا تعذر الجمع ، ولم يمكن التوفيق أخذاً بالأرجح وعملاً بالأقوى .
- 3 - أن يكون أحدهما ظنياً والآخر ظنياً كذلك ، وفى هذه الصورة إذا أمكن الجمع بين المأثور والعقلى وجب حمل النظم الكريم عليهما ، وإن تعذر الجمع بينهما قدم التفسير المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا ثبت من طريق صحيح ، وكذلك يقدم ما صح عن الصحابة ، وأما ما يؤثر عن التابعين فإن كان الراوى له معروفاً بالأخذ عن أهل الكتاب قدم التفسير العقلي ، وإن لم يعرف بالأخذ عن أهل الكتاب لجأنا إلى الترجيح : فإن تأيد أحدهما بسمع أو استدلال رجحناه على الآخر ، وإن اشتبهت القرائن وتعارضت الأدلة والشواهد توقفنا في

¹ . علم التفسير للذهبي، ص61-62. راجع تفصيل كل من الجبهتين في مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص 20-24.

الأمر، وعلينا أن نؤمن بمراد الله تعالى ، ولا تهجم على تعيينه ، وينزل ذلك منزلة المجمل قبل تفصيله ، والمتشابه قبل تبيينه.¹

أقسام التفسير بالرأى

بينا - فيما تقدم - موقف العلماء من جواز التفسير بالرأى ، وقلنا : إن فريقاً قال بالجواز ، وفريقاً آخر قال بعدم الجواز ، وسقنا أدلة الفريقين ، وانتهينا إلى أن الخلاف لفظي لا حقيقي ، لأن الرأي - كما قلنا - قسمان :

- قسم جار على موافقة كلام العرب ومناحيهم في القول ، مع موافقة الكتاب والسنة ، ومراعاة سائر شروط التفسير ، وهذا القسم جائز لا شك فيه ، وعليه يحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأى .

- وقسم غير جارٍ على قوانين العربية ، ولا موافق للأدلة الشرعية ، ولا مستوف لشرائط التفسير ؛ وهذا هو مورد النهي ومحط الذم ، وهو الذي يحمل عليه كلام المانعين للتفسير بالرأى .

وحاصل ما تقدم : أن التفسير بالرأى قسمان : ممدوح جائز ومذموم غير جائز .

وقد بدأ التفسير بالرأى الجائز مبكراً لم يخرج عن قانون اللغة ، ولم يخرج عن قانون اللغة ، ولم يتخط حدود الشريعة ، وظل محتفظاً بهذه السمة إلى أن قامت الفرق المختلفة ، وظهرت المذاهب الدينية المتنوعة . ووجد من العلماء من يحاول نصرة مذهبه والدفاع عن عقيدته بكل وسيلة وحيلة ، وكان القرآن هدفهم الأول الذي يقصدون إليه جميعاً ، كل يبحث في القرآن ليجد فيه ما يقوى رأيه ويؤيد مذهبه ، وكل واجد ما يبحث عنه ولو بطريق إخضاع الآيات القرآنية لمذهبه ، والميل بها مع رأيه وهواه ، وتأويل ما يصادفه منها تأويلاً يجعلها غير منافية لمذهبه ولا متعارضة . معه : ومن هنا بدأ التفسير بالرأى المذموم ، واستفحل الأمر إلى حد جعل القوم يتسعون في حماية عقائدهم ، والترويج لمذاهبهم بما أخرجوه للناس من تفاسير حملوا فيها كلام الله على وفق أهوائهم ، ومقتضى نزعاتهم ونحلهم !²

ولقد خلف لنا كل من أصحاب التفسير بالرأى المحمود وأصحاب التفسير بالرأى المذموم كتباً في التفسير ، وإليك أهم هذه الكتب :

أهم كتب التفسير بالرأى المحمود

المكتبة الإسلامية احتفظت لنا بالكثير من كتب التفسير بالرأى المحمود ، ذكر منها الشيخ محمد حسين الذهبي ما تيسر له الاطلاع عليه ، ووقف على منهج مؤلفه في التفسير .

ونبه إلى أن هذه الكتب التي وقع عليها اختياره يتجه كل منها إلى اتجاه معين ، وتغلب عليه ناحية خاصة من نواحي التفسير هو وألوانه : فمنها ما تغلب عليه الصناعة النحوية ، ومنها ما تغلب عليه النزعة الفلسفية والكلامية ، ومنها ما تطغى فيه الناحية القصصية الإسرائية ؛

¹. علم التفسير للذهبي، ص63

². علم التفسير للذهبي، ص64-65.

ومنها غير ذلك ؛ ولكن الجميع يدخل - في جملته - تحت شيء واحد هو : (التفسير بالرأى الجائز) .

أما هذه الكتب فهي :

- 1- مفاتيح الغيب : للفخر الرازي ، المتوفى سنة 606 هـ
- 2- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : للقاضي البيضاوي . المتوفى سنة 791 هـ
- 3- مدارك التنزيل وحقائق التأويل : لأبي البركات النسفي ، المتوفى سنة 701 هـ
- 4- لباب التأويل في معاني التنزيل : لعلاء الدين الخازن ، المتوفى سنة 741 هـ
- 5- لبحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي ، المتوفى سنة 745 هـ .
- 6- غرائب القرآن ، ورغائب الفرقان : لنظام الدين النيسابوري - المتوفى سنة 728 هـ .
- 7- تفسير الجلالين : لجلال الدين المحلي المتوفى سنة ٧٩١ هـ ، و جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911 هـ
- 8- السراج المنير: للخطيب الشربيني، المتوفى سنة 791 هـ.
- 9- إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود العمادي المتوفى سنة 982 هـ.
- 10- روح المعاني : الشهاب الدين الألوسي ، المتوفى سنة 1270 هـ.¹

أهم كتب التفسير بالرأى المذموم

كما أن المكتبة الإسلامية احتفظت لنا بالكثير من كتب التفسير بالرأى المذموم ، وهذه الكتب جرى التفسير فيها على هوى أصحابها ونزعاتهم المذهبية ، فما من صاحب مذهب كتب في التفسير إلا نظر إليه من خلال عقيدته، وقد تعسف بعضهم في الفهم ، ففسر النصوص القرآنية وأخضعها لتكون له لا عليه ، حتى خرج بذلك خروجاً ذريعاً إلى القول في القرآن بالهوى والغرض ، وقد ذكر الشيخ الذهبي بعض هذه الكتب مكتفياً من كل مذهب بكتابين .

1- من تفاسير المعتزلة :

- تنزيه القرآن عن المطاعن : للقاضي عبد الجبار المتوفى سنة 415 هـ
- الكشف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للزمخشري المتوفى سنة 538 هـ

2 - من تفاسير الشيعة الإمامية الاثني عشرية :

- مجمع البيان لعلوم القرآن : لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، المتوفى سنة 538 هـ وهو أهم كتب الشيعة ، وأكثرها اعتدالاً .
- الصافي في تفسير القرآن الكريم : لملا محسن الكاشي المتوفى في أواخر القرن الحادي عشر الهجري ، ولم أقف على تحديد وقت وفاته .
- 3- من تفاسير الشيعة الزيدية :

¹ . علم التفسير للذهبي، ص66

- فتح القدير : محمد بن الشوكاني المتوفى سنة 1250 هـ .
- تفسير عطية بن محمد النجراني الزيدى المتوفى سنة 665 هـ - لم أقف عليه وقد ذكره صاحب الفهرست وقال : وقد قيل عنه : إنه تفسير جليل ، جمع فيه صاحبه علوم الزيدية (الفهرست لابن النديم ص 23 ط : الرحمانية سنة 1348 هـ) (مع ملاحظة أن الزيدية أعدل فرق الشيعة على الإطلاق) .

4- من تفاسير الخوارج الأباضية :

- هميان الزاد إلى دار المعاد : محمد بن يوسف إطفيش المتوفى سنة سماه : (التبيان في أقسام القرآن) 1332 هـ
- تفسير هود بن محكم الهوارى من علماء القرن الثالث الهجرى ، وهذا التفسير متداول بين الأباضية في المغرب¹.

3- التفسير الموضوعي

حقيقة التفسير الموضوعي:

نريد بالتفسير الموضوعي : تناول جانب واحد من جوانب القرآن الكريم بالدراسة والبحث ، وعالماً ما تكون الدراسة لموضوع معين متناولة له من كل جوانبه ، مستوعبة لكل ما فيه من جزئيات ربما لا يتاح تناولها في التفسير العام ، وغالباً ما يجرى هذا اللون من التفسير على أيدي رجال برعوا في نواح معينة من العلوم ، فاستهواهم حبهم للدراسة وشغفهم بالبحث – أن يتناولوا من موضوعات القرآن ما يتصل بالجانب العلمي الذي برعوا فيه : فابن القيم - مثلاً - أفرد كتاباً للكلام عن أقسام القرآن (التبيان في أقسام القرآن) وأبو عبيدة : أفرد كتاباً للكلام عن مجاز القرآن . والراغب الأصفهاني : أفرد كتاباً في مفردات القرآن . وأبو جعفر النحاس : أفرد كتاباً في الناسخ والمنسوخ من القرآن . وأبو الحسن الواحدى : أفرد كتاباً في أسباب نزول القرآن . وأبو بكر الجصاص : أفرد كتاباً في أحكام القرآن . . . وغير هؤلاء كثير ممن قصدوا إلى موضوع خاص في القرآن ، يجمعون ما تفرق منه ويفردونه بالدراسة والبحث².

¹. علم التفسير للذهبي، ص 67-68

². علم التفسير للذهبي، ص 69-70

4- التفسير الإشاري

حقيقة التفسير الإشاري :

التفسير الإشاري : هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفيفة تظهر لأرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة .

ويرتكز التفسير الإشاري على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تتكشف له فيها من سجع العبارات هذه الإشارات القدسية ، وينهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية.

هذا ، ولا يرى الصوفي أن التفسير الإشاري هو كل ما تحتمله الآية من المعاني ، بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ، ويراد منها أولاً وقبل كل شيء ، ذلك هو المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره.

وقد اشترط العلماء لصحة المعنى الإشاري شرطين أساسيين :

أولهما : أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب ، بحيث يجري على المقاصد العربية .

والآخر : أن يكون شاهد له نصاً أو ظاهراً في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض . وإذا نحن ذهبنا نستعرض أقوال القوم في معاني القرآن الإشارية على ضوء هذين الشرطين وجدنا الكثير منها يمكن أن يكون من قبيل التفسير وكثير منها - أيضاً - من قبيل التفسير الإشاري المرفوض ، وكبرى المشاكل أنها منسوبة إلى رجال من أهل العلم لهم مكانة علمية ودينية لدى جمهور المسلمين ! .

أهم كتب التفسير الإشاري

من العلماء من عنى في تفسيره بالتفسير الظاهر ، وتعرض للتفسير الإشاري بقدر ، كما فعل النيسابوري ، والألوسي .

ومنهم من غلبت عليه ناحية التفسير الإشاري ، ومع ذلك فهو يتعرض - أحياناً - للتفسير الظاهر ، كما فعل سهل التستري.

ومنهم من وجه همه كله إلى التفسير الإشاري ولم يحم حول المعاني الظاهرة ، كما فعل أبو عبد الرحمن السلمي.

ونكتفي هنا بأن نذكر أهم الكتب التي وجه أصحابها فيها كل عنايتهم على اختلاف أنواعها ، وتعدد ألوانها ، أو جلها نحو التفسير الإشاري ، وإليك أهم هذه الكتب :

1 - تفسير القرآن العظيم : لسهل التستري : المتوفى سنة 283 هـ وقيل سنة 273 هـ - يذكر أحياناً المعاني الظاهرة .

٢ - حقائق التفسير : لأبي عبد الرحمن السلمي ، المتوفى سنة 412 هـ ، لا يتعرض فيه للتفسير الظاهر .

٣- عرائس البيان في حقائق القرآن : لأبي محمد الشيرازي المتوفى سنة 606 هـ - لم يتعرض فيه للتفسير الظاهر .¹

5- التفسير العلمي

حقيقة التفسير العلمي :

التفسير العلمي هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن ، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها .

وقد وقع هذا النوع من التفسير ، واتسع القول في احتواء القرآن كل العلوم ، ما كان منها وما يكون ، فالقرآن في نظر أصحاب هذه الطريقة - يشمل - إلى جانب العلوم الدينية الاعتقادية والعملية - سائر علوم الدنيا على اختلاف أنواعها ، وتعدد ألوانها .

ويظهر لنا أن الإمام الغزالي - رحمه الله - كان - إلى عهده - أكثر من استوفى بيان هذا اللون من تفسير القرآن الكريم ، وأهم من أيده وعمل على ترويجه في الأوساط العلمية الإسلامية .

كذلك نجد العلامة جلال الدين السيوطي ينحو منحى الإمام الغزالي في القول بالتفسير العلمي ، ويقرر ذلك بوضوح وتوسع في كتابه (الإتقان) وفي كتابه (الإكليل في استنباط التنزيل) مستنداً إلى قوله تعالى : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (الأنعام - الآية 38) وقوله (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء) (النحل - الآية 89).²

إنكار الشاطبي للتفسير العلمي :

ويرى الشيخ الذهبي- على حسب ما قرأ - أن زعيم المعارضة للتفسير العلمي - قديماً - هو الفقيه الأصولي أبو إسحق الشاطبي ، وقد قرر ذلك وأيده في كتابه (الموافقات) ورد استدلال السيوطي بما ذكرنا من آيات القرآن بحملها على ما يتعلق بالتكاليف والتعب ، أو بحمل الكتاب -في الآية - على اللوح المحفوظ.

ويرى أن هذا الذي قرره الشاطبي هو ما يجب أن نقول به ، وإلا كان القرآن مصدراً لجوامع الطب ، وضوابط الفلك ، ونظريات الهندسة . وقوانين الكيمياء ، وما إلى ذلك من العلوم المختلفة ، وبذلك يقع الشك في عقيدة المسلمين نحو القرآن الكريم ، وذلك لأن قواعد العلوم وما تقوم عليه نظريات لاقرار لها ولا بقاء ، فرب نظرية علمية قال بها عالم اليوم ، ثم رجع عنها بعد زمن قليل أو كثير ؛ لأنه ظهر له خطأها . وكم بين نظريات العلم قديمه وحديثه من تناف وتضاد : فهل يعقل أن يكون القرآن محتملاً لجميع هذه النظريات والقواعد العلمية على ما بينها من تناف وتضاد؟ وإذا كان هذا معقولاً فهل يعقل أن يصدق مسلم بالقرآن بعد هذا ، ويكون على يقين بأنه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟.

¹. علم التفسير للذهبي، ص71-72-73.

². علم التفسير للذهبي، ص73.

وكما لقي التفسير العلمى من قدامى العلماء معارضين ومؤيدين - فإنه قد لقي - أيضاً - ولا يزال يلقى من محدثيهم معارضين ومؤيدين .

ولقد نجد من بين المؤيدين لهذه النزعة - بل على رأسهم - المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى فى كتابه المسمى : (الجواهر فى تفسير القرآن الكريم) .

ولقد نجد فى الجانب الآخر كثيراً من المعارضين أمثال : الشيخ مصطفى المراغى ، والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ أمين الخولى ، رحمهم الله رحمة واسعة¹.

¹. علم التفسير للذهبي، ص75-76

مناهج المفسرين :

المراد من مناهج المفسرين: "بيان الأساليب والطرق التي اتبعها المفسرون لبيان القرآن الكريم بدراسة خصائص وقيمة كل تفسير".

طرق معرفة مناهج المفسرين:

- 1 - من خلال عنوان الكتاب فإن العنوان يدل على مضمونه غالباً، فمثلاً: تفسير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري " فهو كاسمه تفسير جامع للبيان.
- 2 - من خلال قراءة مقدمة التفسير والتي تسمى بـ(خطبة الكتاب) فإن المفسرين في العادة يذكرون منهجهم وطريقتهم في التفسير في المقدمة كتفسير الطبري، والواحيدي، وابن عطية، والقرطبي، وابن جزي، وغيرهم.
- 3- قراءة التفسير كاملاً وفهم منهج المفسر من خلال سير المفسر على شرطه في المقدمة أو مخالفته له، أو تتبع الأسلوب المتكرر في طريقته لتفسير الآيات.
- 4- الرجوع إلى كتب تكلمت عن مناهج المفسرين.¹

فوائد معرفة مناهج المفسرين:

- 1 - فهم مراد المؤلف من خلال التعرف على منهجه وأسلوبه وطريقته في التفسير حتى لا يفهم كلام المؤلف في غير ما أراده وقصده.
- 2- التعرف على طرق المفسرين في طريقة التصنيف والتأليف، والاستفادة من ذلك في فهم طريقة البحث والإيضاح في علم التفسير بشكل خاص والتأليف بشكل عام.
- 3- اختصار الوقت والجهد بالتعرف على منهج المفسر قبل قراءة التفسير كاملاً.
- 4- التعرف على القواعد والضوابط التفسيرية التي طبقها المفسر في تفسيره.
- 5 - أن المفسرين من أبرز العلماء الذين جمعوا العلوم وفي التعرف على منهجهم وطريقتهم فهم لعلوم كثيرة.²

مناهج بعض كتب التفسير وهي :

تفسير الطبري:

اسم الكتاب كاملاً: " جامع البيان عن تأويل آي القرآن" لصاحبه: الإمام شيخ المفسرين محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت310هـ).
أهم مميزاته ومنهجه:

- 1 - ذكره لمقالات السلف بالأسانيد الثابتة عنهم.
- 2 - ترجيحه بين أقوال المفسرين.

¹.محاضرات في أصول تفسير القرآن، لـإبراهيم بلوش، ص42

².محاضرات في أصول التفسير، ص43.

- 3- جمعه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود.
- 4- إعماله لقواعد التفسير والترجيح واهتمامه المحكم بعلم القراءات واللغة العربية وعلومها.
- 5- خلوه من البدع والأهواء وتعقيدات أهل الكلام والفلسفة.¹

تفسير ابن كثير :

اسم الكتاب كاملاً: " تفسير القرآن العظيم".
 لصاحبه: الإمام المحدث إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ).
 أهم مميزاته ومنهجه:

- 1 - جمع وأكثر من ذكر الروايات والآثار والأحاديث في تفسيره.
- 2- حكمه على المرويات غالباً وقد يذكر بعض الآثار الضعيفة من جهة السند أو المعنى.
- 3- محاولته للتوفيق بين الأقوال التفسيرية.
- 4- دقة ألفاظه وجمعه للمعاني مع سهولتها ووضوحها.
- 5- خلو تفسيره من البدع والأهواء والتعقيد الفلسفي.²

تفسير الشنقيطي.

اسم الكتب كاملاً: " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن".
 لصاحبه: العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت1393هـ).
 أهم مميزاته ومنهجه:

- 1 - قصد تأليفه كما هو منصوص في عنوانه أن يفسر القرآن بالقرآن بالدرجة الأولى.
- 2- التمكن القوي من علوم الآلة كاللغة والأصول بشكل كاد أن يكون منقطع النظير في زمانه.
- 3- بسطه وتحريره لآيات الأحكام واستنباط الفوائد منها من غير تعصب لمذهب معين.
- 4 - اقتصاره على إيراد القراءات السبع ثم العشر.³

تفسير ابن عاشور:

اسم الكتاب كاملاً: "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ثم اختصر المؤلف اسمه وسماه بـ التحرير والتنوير من التفسير".

¹.محاضرات في اصول التفسير، ص49.

².محاضرات في اصول التفسير، ص50.

³.محاضرات في اصول التفسير، ص51.

لصاحبه: العلامة المفتي محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن
عاشور التونسي(ت1393)

أهم مميزاته ومنهجه:

- 1 - قدم لتفسيره بعشر مقدمات منهجية قبل الشروع في تفسيره.
- 2- استشهاده بالأحاديث النبوية وذكره لأقوال الصحابة والتابعين.
- 3- ظهور شخصيته في الترجيح بين الأقوال بعلم راسخ .
- 4 - اهتمامه بأغراض كل سورة قبل الشروع في تفسيرها، واهتمامه أيضاً بمقاصد الشريعة وحكمها في ثنايا تفسيره.
- 5- اهتمامه الكبير بعلوم البلاغة بشكل دقيق وعميق وتمكنه منها.¹

الخاتمة :

وبعد فلم يزل القرآن الكريم غزاً طرياً ، ولم يزل التفسير بحراً لا ساحل له ، ومن أى النواحي أتيتته وجدت فيه الدرر الغوالي ، ومهما جد المفسرون وأجهدوا أنفسهم في البحث عن حكمه وأسراره - فلن يبلغوا غاية ، ولن يقفوا عند نهاية ، ولا يزال المشتغلون بالتفسير على اختلاف ميولهم، وتعدد مشاربهم - يُثَوِّرون القرآن الكريم ؛ ليكشفوا عما حواه من علوم ، وما اشتمل عليه من هداية ، وستظل طائفة منهم اليوم وغداً، وإلى أن تقوم الساعة - يعملون في حقل التفسير أملاً في أن يتكشف لهم من خلال آياته جديد ، وسوف يصلون - بإذن الله - إلى الكشف عن جديد ، ولكنه - مهما كان عظمه وخطره - قطرة من مكنون الله القائل : (وَمَا أوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء الآية 85).²

¹.محاضرات في اصول التفسير،ص52.

².علم التفسير للذهبي،ص78-79.

مراجع :

- علم التفسير، د محمد حسين الذهبي ، دار المعارف، 1977. (المرجع الرئيسي بتصرف)
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: 502 هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة لبنان.
- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس القزويني (ت 395 هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر: 1399 هـ - 1979 م..
- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1394 هـ / 1974 م .
- محاضرات في أصول التفسير ومناهج المفسرين، د. محمد بن عبد العزيز بلوش السليمانى ، شبكة الألوكة ، قسم الكتب.
- فصول في أصول التفسير، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، 1423 هـ.
- مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة، 1421 هـ - 2000.
- مقدمة في الدراسات القرآنية، د. فاروق النبهان، طبعة وزارة الاوقاف المغربية، 1415 هـ - 1995 م.